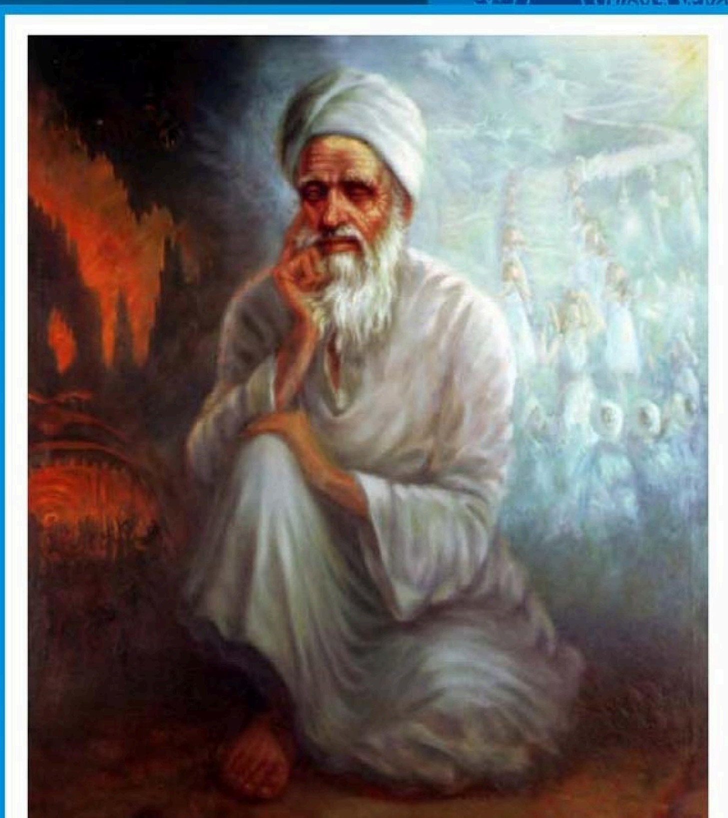
أبو العلاء المعري

شاعر اللزوميات



عيسى ابراهيم السعدي

أمواج
للطباعة والنشر والتوزيع

أبو العلاء المعري

شاعر اللزوميات

أبو العلاء المعري

شاعر اللزوميات

تأليف

عيسى إبراهيم السعدي

أمواج
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

كل الحقوق محفوظة

2012

رؤيتنا: العلم والثقافة أساسان متينان للحياة السوية على طريق النجاح والعمل الإبداعي

رسالتنا: نشر الإبداعات في شتى صنوف العلم والمعرفة بما يسهم في التطور مع المحافظة على الموروث لإعداد جيل صالح يرتقي بالأمة نحو الآفاق ويضعها في صدارة الأمم.

قيمنا: منارات ترشدنا لتحقيق رؤيتنا ورسالتنا

المؤلف ومن هو في حكمه	: عيسى إبراهيم السعدي
عنوان الكتاب	: أبو العلاء المعري- شاعر اللزوميات
بيانات الناشر	: أمواج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن
عدد صفحات الكتاب	: ١٤٤
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية.	:(٢٠١٢/٢/٨١٨)
الرقم المعياري الدولي (ISBN)	:٩٧٨٩٩٥٧٥٢٨٥٨٤

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

أمواج للطباعة والنشر والتوزيع

الأردن – عمان

ماركا الشمالية – دوار المطار – ماركا سنتر

تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١

E-mail: amwajpub@yahoo.com

AMWAj

للطباعة والنشر والتوزيع

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم اللـه الرحمن الرحيم

أراني في الثلاثـــة مـــن ســـجوتي فــلا تــسأل عــن الخــبر النبيــث
لفقـــدي نـــاظري، ولـــزوم بيتـــي وكــون الــنفس في الجــسد الخبيــث

«المعري»

أبو العلاء المعري

إهداء

إلى

كل من رأى ووعى وأحسّ، مدى عظمة وقدرة وكفاءة وعطاء أولئك الناس،

الذين شهدت عظمة أعمالهم، بعظمتهم، وقدرتهم الكبيرة وصدق مشاعرهم،

ونقاء سريرتهم

وقد ملكوا ناصية البيان والفصاحة، وقد قاموا بانتقاء الألفاظ، الخفيفة

والسهلة والدقيقة والنافعة والخيّرة

لتكون قوالب للمعاني وكانوا تاج عزّ وفخار، في جبين، وعلم وثقافة وحضارة

أمتهم العربية والإسلامية، الرفيعة والأبية والمؤمنة

ولكلِّ من سلك في طريق العِلم والتعلّم طريقاً

المؤلف

مقدمة

أيها القرّاء الكرام:

السلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته.

وبعد،

أحييكم أجمل تحية، طيبة وخالصة، راجياً من اللـه سبحانه وتعالى أن يـديم نعمـه وخيره، على الجميع، إنه سميع مجيب.

وأضع بين أيديكم كتابي هذا، وقد جاء بعنوان:

«أبو العلاء المعري»

شاعر اللزوميات

وقد بذلت أقصى جهدي واسـتطاعتي، أن يكـون هـذا الكتـاب كـما يحـب ويرغـب، طالب العلم والمعرفة والثقافة، منه.

وقد سلَّطت الأضواء فيه، على علم كبير من أعلام الفكر والثقافة والعلم، ممـن زخـر بهم العصر العباسي المزدهر.

إنه أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد اللـــه بـن سـليمان التنـوخي: الـشاعر، النـاشر، الفيلسوف، المتكلم، صاحب الثقافة الواسعة.

وقد نبغ في سن مبكرة، وكان على درجة عالية، من الذكاء، وقد ارتحل لعدة بلدان، في سبيل العلم، ولمدة قصيرة، رجع بعدها لبلده.

وقد ألمت به بعض الملمات، منها فقده لبصره، ووفاة أمه، ولقاء الحاسدين والكائدين له.

ومع كل هذا سار في طريق العلم، بخطى ثابتة وحثيثة. وترك آثاراً عديدة وكبيرة في مختلف ميادين الأدب والعلم والفكر والثقافة. وكان منها المنظوم مثل: لزوم ما لا يلزم، وسقط الزند، وهما ديوانا شعر كبيران.

ومنها المنثور، مثل: رسالة الغفران، ورسالة الصاهل والشاحج، وكتاب الفصول والغايات.

وتناول المعري في أشعاره عدة أغراض شعرية، وكان في طليعتها (شعر الحكم والأمثال)، وكان قريباً من «المتنبي» في هذا المجال.

وإن الأمم أجمع، تفخر بما يتضمنه أدبها، وثقافتها ومعارفها، من حكم وأمثال.

وإننا لنفخر، ونحن نرى، الحكم والأمثال، قد غطّت وأنارت صفحة أدبنا العربي الأصيل وصفحة ثقافتنا ومعارفنا وحضارتنا.

وقد أفردتُ باباً كاملاً من أبواب هذا الكتاب، لحكم وأمثال المعري.

وجاء الكتاب في أربعة أبواب رئيسة:

الباب الأول:

أشرت فيه بإيجاز إلى:

١ـ تاريخ العباسيين.

٢ـ ازدهار العلم والأدب والثقافة، في العصر العباسي.

كمدخل لمواضيع الكتاب الرئيسة.

الباب الثاني:

وبيَّنت في هذا الكتاب:

مولد وشخصية ونسب أبي العلاء المعري، وحياته وتعلمه، وحدة ذكائه وفطنته، وثقافته وعلمه ومؤلفاته.

الباب الثالث: حكم وأمثال المعري.

وقد تناولت في هذا الباب، نصيباً منها:

عرضتها، وبيَّنت في كلٍّ منها: اللغة، والمعنى، وما اشتمله، من بعض المسائل النحوية، وبعض جماليات بلاغتنا العربية.

الباب الرابع:

تناولت فيه الحديث عن تقاربُ المتنبي والمعري، من حيث:

١ـ إعجاب المعري بالمتنبي.

٢ـ تأثر المعري بالمتنبي.

٣ـ التفكير الفلسفي لهما.

أسأل الله أن يكون هذا الكتاب، نافعاً لكل طالب علم ومعرفة وثقافة،

وأن ينفع به الناشئة الأعزاء، وأن يلاقي ما لاقته، كتب لي سـبقته، مـن ذيـوع وانتـشار ونفـع وخير.

إنه الموفق والناصر والمعين

المؤلف

الباب الأول

١ـ تاريخ العباسيين.

٢ـ ازدهار العلم والأدب والثقافة والمعارف بوجه عام.

الباب الأول

تاريخ العباسيين(١) وازدهار العلم والأدب والثقافة والمعارف بوجه عام

من الجدير بالذكر، ونحن نتناول الحديث، عن أديب كبير ـ شاعر وناثر ـ سار في درب العلم، فتعلّم وعلّم، وأجاد وأبدع، في هذا وذاك.

إنه، أبو العلاء المعري، ذائع الصيت، عظيم الأثر مذ كان، إلى الآن، وإلى ما شاء الله.

أن نعرف شيئاً، عن الحقبة الزمنية، وأعني العصر الذي عاش فيه، وهو العصر العباسي، الزاهر والزاخر، بما حواه من كنوز الحركة الأدبية والعلمية والثقافية والفنون وبقيَّة المعارف، فقيل:

«لكلّ زمان دولةٌ ورجال»

تاريخ العباسيين:

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب، فهم فرع من بني هاشم، وفي صدر الإسلام، لم يتطلّع العباسيون لتشكيل حزب سياسي ـ طامع في

(١) أبو فراس الحمداني (شاعر الروميات)، عيسى السعدي، ص٢١-٢٥.

الحكم ـ بل اعتبروا أنفسهم لحمةً واحدةً على بني هاشم. وهذا ما يفسِّر مبايعة العباس لعلي بن أبي طالب ـ كرّم اللـه وجهه بالخلافة ـ[1]. كما بايعه ابنه عبد اللـه.

وعندما فاز الأمويون بالحكم سالمهم، واتجه للعلم حتى قيل له: «حبر قريش» أو «حبر الأمة» لسعة علمه[2].

وعلي بن عبد اللـه بن العباس هو أول شخصية عباسية، كان لها طموح وتطلّع سياسي، ويقال أن أباه أوصاه بالرّحيل إلى الشام، تجنباً لشر ابن الزبير وخطره، حيث كان يعاديه ويريد الغدر به، فعمل بوصيته، ولحق بعبد الملك ابن مروان، في دمشق، فرحّب به وأكرمه.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك، سجنه ونفاه إلى الشَّراة، جنوبي الأردن، لأنه اكتشف أنه سعى إلى الخلافة، فنزل بالحميمة، واستقرّ بها حتى مماته فيها.

ومنذ انتقال علي إلى الحميمة، بدأ العمل السياسي سراً، وعاونه في ذلك ابنه محمد، الذي كان يتصل بأبي هاشم، عبد اللـه بن محمد بن الحنفية، إمام فرقة الهاشمية، وزار أبو هاشم، سليمان بن عبد الملك فدسّ إليه من سمَّه، وهو في طريقه إلى فلسطين.

ولما شعر أبو هاشم بدنوّ أجله، جاء الحميمة، وأوصى بالإمامة من بعده، لمحمد بن علي بن عبد اللـه بن العباس، وأمر شيعته من الهاشمية بالانضمام إليه، ثم توفي أبو هاشم.

---

(١) مروج الذهب، ٣: ٢٥٢.

(٢) أخبار الدولة العباسية، ص٢٨.

فكانت الهاشمية، أول جماعة التفَّت حول العباسيين، وقد تمسَّك بها العباسيون، وادعوا أن الخلافة جاءتهم عن طريقها. حتى القاها المهدي. وقال إنّ الخلافة جاءتهم من قبل العباس بن عبد المطلب(١).

ويُعتبر محمد بن علي، المنظم الأول للدعوة العباسية، في حياة والده، واستمرّ يسكن الحميمة، لكن الكوفة كانت مقراً لدعوته، ونشطت الدعوة ـ فيما بعد ـ بخراسان، إلا أن الدعوة ظلّت تأتمر بأمر كبير الدعاة بالكوفة، ولعلّ أهم المبادئ، التي بشّر بها العباسيون، خلال دعوتهم، وبعد نجاح ثورتهم، أنهم كانوا يريدون، تطبيق النظام الإسلامي، والالتزام به، وتحقيق العدالة والمساواة، بين كافة الشعوب، دون التفريق بين العرب وغيرهم.

وكان هذا جلياً، في أول خطبة ألقاها، أبو العباس السَّفاح، عقب مبايعته، بالخلافة في الكوفة(٢) وفي الخطبة التي خطبها عمُّه، داود بن علي، في المناسبة نفسها(٣).

وتثبيتاً لسياستهم الإسلامية، صوَّروا، بني أميَّة مغتصبين للخلافة، خارجين على الإسلام، معطِّلين لحدوده، محدِّثين للبِدع، مقترفين للجرائم، مرتكبين للقبائح، منتهكين للمحارم، معتدين على الرَّعيَّة(٤).

(١) أخبار الدولة العباسية، ص١٦٥.

(٢) تاريخ الطبري، ٧: ٤٣٦.

(٣) تاريخ الطبري، ٧: ٤٣٧.

(٤) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، د. حسين عطوان.

وفي بداية دعوتهم أشاعوا، أنهم يهدفون الإطاحة بالدولة الأموية، وأنهم غير ساعين للخلافة، وعندما قامت دولتهم، زعموا أنهم أهل الإسلام، وكهفه، وحصنه ومُماته.

وقد ساعد على نجاح الثورة العباسية، عدة أسباب:

ـ الشعارات الإسلامية التي طرحوها.

ـ اللافتات الإصلاحية التي رفعوها.

ـ التكتُّم على الشخصية، التي كانوا يدعون لها. لكي لا يثيرون عليهم، العلويين، من الزيدية وغيرهم.

ـ أن بعض الدُّعاة بخراسان، أضافوا إلى مبادئ الدعوة أفكاراً متطرفة، كفكرة تناسخ الأرواح، وفكرة الحلول، وفسحوا المجال لمقتفي الخرميَّة، ممن لم يدخل الإسلام، في قلوبهم، للانضمام إلى صفوف أنصار الدعوة(١).

ـ استثارة النعرة القدمية، لأهل خراسان، بتذكيرهم بماضيهم المجيد، وفتح باب الأمل لهم في السلطة، وبتحريضهم على العرب عامة، وعلى بني أمية خاصة، لكسب ولائهم.

ـ نشر الدعوة وتركيزها في بيئة ثانية معزولة، عن الإدارة المركزية الأموية، وعن التيارات الحزبية في العراق والحجاز والشام. وهي بيئة كان لها، تركيبها البشري الخراساني العربي، ومشاكلها المتعددة، فقد كان السكان المحليون،

---

(١) أخبار الدولة العباسية، ص٢١٢.

يشكون من التفرقة الطبيعية الموروثة، ومن الوضع الاقتصادي، المتدهور، بسبب نظام ا لضرائب القديم، الذي ظلّ الأمويون وولاتهم يطبقونه.

ـ استغلال الآثار السلبية، والفوضى، بسبب الحروب الأهلية بين بني أمية، وعن ثورات الخوارج، وعن الفتن القبلية، فتعلقوا بفكرة المنقذ، أو المهدي المنتظر، الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، وهي الفكرة التي تغلغلت في أوساط العامة، من العرب وغيرهم.

ـ تسامح الأموين وعمالهم، مع الدعاة العباسيين بخراسان، وتساهلهم في معاقبة من كان يقع منهم بغبطتهم، وعفوهم عنه.

ـ اختيار الوقت المناسب لإعلان الثورة، فقد انتهز العباسيون، فرصة انشغال أبناء الأسرة الأموية بالتنافس في الخلافة، والاقتتال في سبيلها، بعد موت هشام بن عبد الملك، وما أنتجه التنافس والاقتتال، من الاضطراب والضعف، في خلافة الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، ومروان بن محمد، وما أحدثته الانقلابات، من الانقسامات، بين القبائل الشامية، المؤيدة لكلّ خليفة.

وأثر ذلك كلّه على الوضع بخراسان، واستحكام الفتنة بين الأحلاف القبلية فيها، وانهماك مروان بن محمد، في محاربة الخوارج، وظهور عبد الله ابن معاوية، وغلبته على فارس والري. انتهزوا هذا الظرف المواتي، وفجّروا ثورتهم.

ويختلف الباحثون في تقدير، دور الخراسانيين، والعرب، في الثورة العباسية، اختلافاً شديداً. فمنهم من يذهب إلى أنها قامت على أ كناف الخراسانيين، وأن نجاحها أعلى من شأن الأعاجم، وحطّ من قَدْر العرب، بل

حوّلهم إلى أمة مضطهدة، لتتّسق النتائج مع الأسباب، في تفسيره لها، تفسيراً اجتماعياً وسياسياً، ومنهم من يرى أن العرب، كان لهم، الحظ الأكبر في نجاحها.

إن المؤرخ البصير، بنشأة الثورة العباسية وملابساتها، عليه ألا يضخّم، مساهمة الخراسانيين فيها تضخيماً، يلقي معه مؤازرة العرب لها.

كذلك لا يجوز، تضخيم دور العرب لدرجة نسيان مساهمة الخراسانيين في ذلك.

إن الناظر إلى الدعوة العباسية، في مرحلتها السّريَّة، وبعد قيام الدولة العباسية، وابتداء سياستها العملية، يستطيع أن يؤكد، دور الخراسانيين فيها، وأن هذا الدور يتمثل في انضمام أعداد منهم إليها، وفي انتخاب بعضهم لمجلس نقبائها، في طور الدعوة لها، وهم من عند صاحب أخبار الدولة العباسية، وعند الطبري، أربعة، وعند الجاحظ، ثلاثة.

إنّ الحقائق التاريخية، تدحض ما قرّره، بعض الباحثين، من أنّ العرب، لم يكن لهم أية مساهمة، في الثورة العباسية.

فثمة حقائق أخرى تنقض ما قرّروه، من أنّ العرب تدنَّت منزلتهم، وذهبت مراتبهم، بعد انتهاء الدولة الأموية، فلم يكن الخلفاء العباسيون، من الأعاجم، بل كانوا جميعاً، عرباً من جهة آبائهم، وكان بعضهم عرباً أيضاً، من جهة أمهاتهم. ولم يكن أكثر العمال وكبار الموظفين، في عهود الخلفاء العباسيين، الأوائل، من الخراسانيين والفرس، بل كانوا من الأسرة العباسية، ومن القبائل القريبة.

ازدهار العلم والأدب والثقافة والمعارف بوجه عام:

التاريخ سجّل الأمم، من حيث حياتها وتقدمها وتطورها، وبسط نفوذها وسيطرتها، وسقوطها، وانحدارها إلى الحضيض بعد علو شأن ومنزلة وسلطان.

نظرة واعية ومتفحّصة إلى العام الهجري (١٣٢) تراه نقطة تحول كبير وعلامة بارزة لا يمكن تجاهلها، في تاريخ الخلافة الإسلامية.

فقد شهد هذا العام المذكور، سقوط حكم بني أمية، وآلت الخلافة إلى بني العباس. وأصبحت بغداد حاضرة الدولة.

اتسعت رقعة الدولة العباسية، مما أدى إلى امتزاج شعوب مختلفة، وثقافات متعددة، تحت لواء الدولة الإسلامية.

وقد جمعت العرب إليها عدة أجناس وأعراق متباينة، من روم، وترك، وفرس، وهنود، وغيرهم، بما كان لديهم من ثقافة ومعرفة وحضارة. فاستفاد العرب من كلّ هذا.

نشطت الحركة العلمية والأدبية والمعرفية، في مختلف أنواع المعارف والثقافات من:

لغة وتاريخ، وأدب، وبلاغة، وفلك وغيرها ولعبت الترجمة دوراً لافتاً في نقل الثقافة والمعرفة إلى حضن وعقول وأقلام العرب، فاستفادوا، وزادوا، ما خَدَمتهم فيه عقولهم النيرة وأقلامهم المعطاءة، فأخرجوا لنا وللبشرية جمعاء أمهات الكتب، في مختلف صنوف المعرفة، وقد شهد لهم القاصي والداني، بهذه

الأعمال الكبيرة والعظيمة، وذات النفع والخير الكثير، للإنسان ولعدة أجيال، بإذن الله تعالى.

وظهرت تفاسير القرآن الكريم، وجمعت الأحاديث النبوية الشريفة في كتب الصِّحاح، كما توسع الفقهاء في هذا العصر في الاجتهاد ومسائل الدين العديدة. والذي كان الأئمة الأربعة من روَاده:

أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشّافعي، وأحمد ابن حنبل.

وقد أضاف العلماء المسلمون في كثير من العلوم، إضافات جلية مميّزة، خدمت العلم والمتعلِّم، إلى حد كبير. ومن هؤلاء الخوارزمي مبتكر علم الجبر، وتجديد جابر بن حيان في علم الكيمياء، ونتاج ابن الهيثم في علم الفيزياء وغيرهم.

وقد انتشرت دور العلم، والمكتبات العامة والخاصة، ومجالس العلم، وأسواق الأدب.

ومن الجدير بالذكر والإشارة، والعرفان بالجميل والواجب، أن هذه النهضة العلمية الرائعة، ما كانت لتكون، وتبلغ الذروة، وقمة العطاء، في هذا المجال، لولا دعم، ومساندة، وتشجيع، ورغبة، الخلفاء في العصر العباسي، والوزراء، ومنهم على سبيل المثال: هارون الرشيد، الخليفة العباسي، الخامس، الذي كانت خلافته ما بين ١٧٠هـ ـ ١٩٣هـ مؤسس مكتبة «دار الحكمة» المعروفة والشهيرة.

وثقافة وحضارة، وازدهار وتطوّر الحركة العلمية في العصر العباسي، تحتاج للعديد من الصفحات والمجلدات، لتحيط بها، إحاطة تامة.

ونحن إذ نتناول، شاعراً، مبدعاً، وناثراً كبيراً، وفيلسوفاً عملاقاً، أبا العلاء المعري، في هذا الكتاب، فلا غرو من الحديث، عن الحركة الأدبية، وخاصة جانب الشعر، وبشيء من الإيجاز. ومن قبيل الشيء بالشيء يُذكر.

وقد تألق الشعراء، في العصر العباسيٍ، في أقوالهم وأعمالهم ونتاجهم، فكانوا علامة بارزة، في صفحة الأدب العربي، ومرآة، تعكس بشكل أو بآخر حضارة وثقافة الأدب والشعر خاصة.

أبو فراس الحمداني:

علم في رأسه نار، وهو صاحب الروميات، لون شعري، يقترب من شعر الجهاد والحماسة، وتشمل الروميات، تلك القصائد التي تناول شعراؤها فيها، الصراع مع الروم، منذ بدء الفتوحات الإسلامية، الموفّقة والمعروفة، حتى سقوط القسطنطينية.

قال أبو فراس، في رائيته:

أراك عصيّ الدّمع شيمتك الصبر أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر

انظر طريقة لومه لمحبوبه، أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر.

وقوله:

أُسِرْت وما صَحْبي بعُزل لدى الوَغى ولا فرسي مهرٌ ولا ربّه غمرُ

فأيّ فارس هذا، وأيّ أسد! وصحبة مدججون بالعدة والعتـاد، إنـه الـشاعر والفـارس المقدام، أبو فراس الحمداني.

وترى سمة الصبر تتجلى في أبي فراس، وهو في أسره، يقول:

مُــصابي جليــلٌ والعـــزاءُ جميــلُ ... وظنّــي بــأنَّ اللـــه ســوف يُــديل
وأسرٌ أقاســـيه، وليـــلٌ نجومُـــه ... أرى كـــلّ شيء غــــيرهنّ يـــزول
تطــولُ بي الــساعات وهــي قــصيرةٌ ... وفي كــلّ دهـــر لا يــسرّك طــول
ولكــن إذا حــمّ القـضاء عـلى امـرئ ... فلـيس لـه مـن بـر يقيـه ولا بحـر

وترى العزّة، والاعتزاز الشديد، في قول، «أبي فراس»:

ســـيذكرني قـــومي إذا جـــدّ جـــدّهم ... وفي الليلـــة الظلـــماء يُفتقَـــد البـــدرُ
ولـو سـدّ غـيري مـا سـددت اكتفـوا بـه ... وما كان يغلو التِّبر لـو نفـق الـصُّفر(١)

وهذا المتنبي، يقول:

أعــزّ مكــان في الــدّنا سرج ســابح ... وخـــير جلـــيس في الزّمـــان كتـــاب

وقال:

أنـــا الـــذي نظـــر الأعمـــى إلى أدبي ... وأســـمعت كلـــماتي مـــن بـــه صـــمم

وقوله:

عـلى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم ... وتـــأتي عـــلى قـــدر الكـــرام المكـــارم

وقوله:

(١) القبر: الذهب. الصفر: النحاس.

أيّ محــل أرتقــي؟ أيّ تحطــيم أتقــي؟
كـل مـا خلـق اللـه ومــــا لم يخلــــق
محتقــر في همتــي كشعرة في مفرقـي(١)

وقال المتنبي:

ومـن ينفـق الـساعات في جمـع مالـه مخافـة فقـر فالـذي فعـل الفقـر(٢)

وفي هذا تشابه مع قول لقمان الحكيم: «مـن دافـع الفقـر بالـذل قبـل الفقـر، فقـد تعجّل الفقر»(٣).

ويعتبر «البحتري» من شعراء هذا العصـر، وكبـاره وعظمائـه ومـن أجمـل قـصائده، قصيدة في وصف جيش المتوكل، الذي هاجم الروم، يقول فيها:

ومــا زالـــت الأعـــداء تعلـــم أنـــه يجاهــدها في اللـــه حــقّ جهادهــا
ولما طغـت في دارهـا الـروم واعتـدت ســـفاهاً رماهـــا جعفـــر بحـــصادها
أعــدّ لهــا فرســان جــيش عرمــرم عــداد حــصى البطحــاء دون عــدادها
كتائــب نــصر اللـــه أفـضى سـلاحها وعاجـل تقـوى اللــه أكـثر زادهـا(٤)

ومن الشعراء الكبار أيضاً، أبو تمام. في القـرن الثالـث الهجـري، فيمثـل الروميـات، في انتصارات المأمون والمعتصم من الخلفاء.

(١) ديوانه، بشرح العكبري، ٢: ٤٢١، وفي هـذا يقـول العكـبري: «لزمـه الكفـر، باحتقـاره لخلـق اللـه، وفـيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة والمقربون».
(٢) ديوانه، ج٢، ص٢٥٥.
(٣) ديوانه، ج٢، ص٢٥٥ (الهامش).
(٤) ديوان البحتري، ج٢، ص٧١٥.

ومن قصيدته في انتصار المعتصم، في عمورية، يقول:

الـسّيف أصـدق إنبـاءً مـن الكتـب   في حـدّه الحـدّ، بـين الجـدّ واللعـب

العباس بن الأحنف:

معظم الشعراء الغزليين، بلغوا شأواً بعيداً في النزعة المادية، وأسرفوا في تصوير متعـة الحب وجمال ومفاتن المرأة، والوصال، فقلَّـدوا مـن سـبقهم، في هـذا المجـال، وربمـا تجـاوز البعض منهم الحدود، فقالوا ما لم يُقال، وتفنَّنـوا وافتخـروا، في مجـال، لـيس مجالـه التفـنن والافتخار.

واصـطفَّ الـبعض مـن الغـزليين الـشعراء، بعيـداً عـن هـؤلاء، في شـعرهم وحـبِّهم ونتاجهم، كان من هؤلاء: «العباس بن الأحنف»:

ترفَّع عن تلك المباذل الخلقية، واعتدل في صـنيعه الغنـي، بعاطفـة صـادرة وصـادقة ونابعة من القلب والعقل الراجح. أُطلق على شعره: العفيف والعذري والنزيه.

واقترب منه في شعره وخصائصه وحبّه، أبو العتاهية، الذي يقول:

مــــن لقلـــب متـــيّم مـــشتاق   شـــفّه شـــوقُه وطـــولُ الفـــراق

طـــال شـــوقي إلى قـــصيدة بيتـــي   ليـت شـعري فهـل لنـا مـن تلاقـي

هـــي حظـــي قـــد اقتـــصرت عليهـــا   مــــن ذوات العقــــود والأطــــواقِ

جمــع اللـــه عــاجلاً بــك شـــملي   عــن قريــب وفكَّنــي مــن وثــاقي

قال العباس بن الأحنف:

لا جـزى اللـــه دمـع عينــي خـيراً وجـــزى اللـــه كـلّ خـــير لـــساني

ثــم دمعـــي فلــيس يكــتم شـيئاً ورأيــــت اللــــسان ذا كـــــتمانِ

كنـت مثـل الكتـاب أخفـاه طـيٌّ فاســـــتدلُّوا عليــــه بــــالعنوان

ويقول، وهو من شعره الجميل، البديع:

وأحــسن أيــام الهــوى يومــك الــذي تـــروّع بـــالهجران فيـــه وبالتعــــب

إذا لم يكـن في الحــب سـخطٌ ولا رضـا فـــأين حـــلاوات الرَّســـائل والكتـــب؟

وكان الأصمعي، علّامة الشّعر، وراويه، ونقده، يحب بيتي العباس:

أتــــأذنون لـــــصبّ في زيــــارتكم فعنـــدكم شـــهواتُ الـــسمع والبـــصر

لا يظهـر الـشوق، إن طـال الجلـوس بـه عـــفُّ الـــضمير، ولكـــن فاســـقُ النظـــر

ومن شعره:

الحـــبّ أول مـــا يكـــون لَجاجـــةً تـــأتي بـــه وتـــسوقه الأقـــدار

حتـى إذا سـلك الفتـى لجج الهـوى جـــاءت أمـــور لا تُطـــاق كبـــار

نـــزف البكـــاء دمـــوع عينـــك فاسـتعرْ عينـاً لغـيرك دمعُهـا مـدرار

مــن ذا يعــيرك عينُــه تــبكي منهـا أرأيـــت عينـــاً للبكـــاء تُعـــار؟!

وانظر جمال الصّورة، والإبداع، في قوله: (حتـى إذا أيقظـوني لـلـهوى رقـدوا) ولعلـه قصد كمن يشعل ناراً بك، نار الحب، ويبتعد عنك قبل أن يطفئ ناراً أشعلها، ويـرى لهيبهـا، يقول:

أبـــكي الـــذين أذاقـــوني مــــودّتهم   حتــى إذا أيقظــوني لـلــهوى رقــدوا
جــاروا عـــليّ ولم يوفّـــوا بعهـــدهم   قد كنت أحـسبهم يوفّـون إنْ عهِـدوا

والشعراء والأدباء، والعلماء، وصاحبي العقول النيّرة والكبـيرة والمعطـاءة، كثـيرون، في العصر العباسي المزدهر والذهبي، الذين قالوا وأبدعوا وتفوّقوا وتميّزوا وتفنّنوا، وتركوا لنا كماً هائلاً ونوعاً رائعاً، ونتاجاً زاخراً، وأثراً باقياً.

حقاً إنهم لعمالقـة، كبـار، عظـام، في كـلّ مـا تناولونـه مـن ألـوان ومعـارف وثقافـة وحضارة، في العلم والأدب والفن والثقافة والأخلاق، منهم: أبو فراس الحمداني، وأبو الطيـب المتنبي، وأبو تمام، والبحتري، وابن الرومي، والعباس ابن الأحنف، وشاعرنا الكبير: أبـو العـلاء المعري، وغيرهم.

قال أبو العلاء المعري:

أراني في الثلاثـــة مــــن ســـجوني   فــلا تــسأل عــن الخــبر النبيــث(١)
لفقـــدي نـــاظري ولـــزوم بيتـــي   وكون الـنفس في الجـسد الخبيـث(٢)

وقوله:

ظننـــتُ أني وحـــدي مخطـــئ فـــإذا   أفعـــال كـــلّ بنـــي الـــدنيا كأفعـــالي

وقوله:

أكـــرم ضـــعيفَك والآفـــاقُ مجديـــةٌ   ولا تهنـــهُ ولـــو أعطيتَـــه القوتـــا

(١) النبيث: الشرير، وهو أيضاً من نبث التراب: أخرجه. ونبث عن السِّر: بحث عنه.
(٢) اللزوميات، المجلد الأول، ص٢٤٩.

الباب الثاني

لمحة موجزة عن أبي العلاء المعري

- توطئة.
- نسبه ومولده.
- حياته وتعلمه.
- حدة ذكائه وملكة حفظه.
- ثقافته وعلمه.
- أخلاقه ومنزلته ورحلاته.
- مؤلفاته.

الباب الثاني

توطئة:

سبحانك اللـهم سبحانك، حمداً لك، والشكر لـك. خلقتنـا ورزقتنـا، علَّمتنـا وأدَّبتنـا، وجُدت علينا بنعم كثيرة. لا نستطيع لها حصراً أو تعداداً.

ومع هذا نجد، المعاند والمكابر والمغالي. قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُـسِكُمْ أَفَـلَا تُبْـصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

من يملك ذرة من عقل وإحساس، أو حسن تدبّر وتفكّر، يبـصـر، وبكلتـا عينـه، وبما أعطاه اللـه، من بصر وبصيرة، نعماً كثيرة، وهبها اللـه عزّ وجلَّ، لـه ولعمـوم جنـسه، كائنـاً من كان.

وإنه ليرى، مظاهر قدرة الخالق؛ السماوات والأرض، من جبـالٍ، ومفـازاتٍ، وشـلالاتٍ وأودية وبحار وغابات وبحيرات وأنهار، وغيرها كما يرى ظواهر الطبيعة الجلية:

من برق ورعد، ورياح وضباب وأمطار، وزلازل وبراكين وتعاقب لليل والنهـار، وقمـر منير ونجومٍ وشمس تشـرق في النهار. ونفسٍ، ترى فيها كلّ عجب ودهشة واقتدار.

فهي تسمع بعظم (الأذن)، وترى بشحم (العين)، وتنطق بقطعة لحم صغيرة هي (اللسان).

وما على الإنسان، إلا أن يأخذ الإيمان، طريقاً له، وأن يكون إيمانه صادقاً، خالصاً، راسخاً، قوياً. وأن اللـه سبحانه هو:

الخالق، الرازق، المعطي، المعز، المذل، الرَّحمن، الرَّحيم، العليم، الخبير، السَّميع، البصير، مالك الملك، له الأسماء الحسنى.

وإنني، وفي هذه العجالة، رأيت أن أبدأ حديثي كما ترى، لأصل إلى أن اللـه سبحانه وتعالى، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وحباه من النعم الشيء الكثير، ومنها نعمة البصر.

ولـلـه في خلقه شؤون، فقد جاءت مشيئته، سبحانه وتعالى، أن يكون لكل آدمي، في هذه الحياة الدنيا، عينان، يبصر بهما طريقه وعمله وعيشه، كما يبصر الكون الرّحب الفسيح، بما حواه من مظاهر عظمة وقدرة الخالق، جلّ وعلا.

يرى السماوات والأرض، والجبال والأودية والهضاب والتلال والأنهار والغابات والصحاري والأشجار.

نعم، وتراه يرى النور، وما يكشف له من بديع صنع الخالق سبحانه، وما حوته الطبيعة من أسرار ولوحات ذات ظلال وألوان، وحُسن وروعة وجمال.

وأرادت مشيئة اللـه أن يكون الطرف الآخر القليل والنادر، على النقيض مما ذكرنا (أعني البصر).

فجاء فقدانه لبصره مرافقاً لمولده. وكان البعض الآخر فاقـداً لبـصره بعـد فـترة مـن مولده، وقد تتفاوت هذه الفترة من شخص لآخـر ـ زمنيـاً ـ ونظـرة لكـلا الطـرفين، تجـد أن اللـه سبحانه وتعالى، عوّض الكثيرين ممن فقدوا نعمة البصـر، بنعمـة أخـرى هـي: حُسن البصيرة ونفاذها وحدّتها، وكثرة وعظمة خيرها وأثرها ونفعها.

والأمثلة على ذلك، كما أرى ويرى غيري معي، كثيرة ومتباينة، بـين شـخص لآخـر، ولا غرو، أن أسوق جانباً منها ـ على سبيل المثال، لا الحصـر ـ وبدون أدنى تعصّب لعرق، أو دين أو عقيدة، أو هدف:

ـ **بشار بن بُرد:** ولد بشّار في البصرة، ونـشأ أعمـى وكـان صـلة بـين عهـدين، القـديم والحديث.

كان حادّ الذّكاء، شاعراً، اجتمع الشعر له، طبعاً وفناً. وقد وصف بشّار المعركة فأجاد الوصف، فذكر غبار المعركة، والـسيوف والليـل والكواكـب (مـع أنـه كـان أعمـى) فقيـل إن وصفه للمعركة، أجود من وَصْف المبصرين لها، حيث قال:

كـأنّ مثـار النّقـع فـوق رؤوسِـنا ... وأسـيافنا ليـلٌ تهـاوى كواكبُـه

ومن شعره:

لم يطـلْ لـيلي ولكـن لم أنـم ... ونفـى عنّـي الكـرى طيـفُ أَلَمَ

واشتهر له قوله:

يـا قـومُ، أذني، لـبعض الحـيِّ عاشـقةٌ ... والأذنُ تعـشقُ قبـل العـين أحيانـا

ـ **وطه حسين:** عميد الأدب العربي، منْ لم يسمعْ به؟ منْ لم يطالعْ شيئاً مِن أعماله التي بلغت ثمانين مؤلفاً ونيفاً؟ منها: الأيام وحديث الأربعاء وفي الأدب الجاهلي والوعد الحق. كذلك كان طه حسين فاقد البصر، قويَّ البصيرة. وطبقت شهرتُه الآفاق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. كما تحدَّث عنه العدو قبل الصديق، وتحدَّث عنه المستشرق والشرقي وغيرهما.

ـ **وهيلين كيلر:** فاقدة البصر، أعتقد أنك سمعت وقرأت عنها الكثير، الكثير.

ومثالنا الرابع والأخير ـ في هذا المجال ـ مع الشاعر، الناثر، المبدع، المتألق، المميّز، الفيلسوف، الحِكَمي، صاحب الآثار الباقية، والمآثر والأخلاق العالية، الأعمى البصير: (أبو العلاء المعري).

نسبه ومولده:

هو أحمد بن عبد اللـه بن سليمان بن محمد... بن قضاعة «ولد يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة»[1].

نشأ لأبوين كريمين، فكان: «من بيت علم وقضاء، ورياسة وثراء. تولى جماعة من أهله قضاء المعرة، وغيرها، ونبغ منهم قبله وبعده كثيرون، وأسَّسوا وساسوا، وكان فيهم العالم والكاتب والشاعر. ولأهل المعرة اعتقاد كبير فيهم، ولواذ بهم، وفزع إليهم في أمورهم»[2].

(١) تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٤١.

(٢) أحمد تيمور، أبو العلاء المعري، ص٧.

حياته وتعلّمه:

عندما بلغ أبو العلاء، الرابعة من عمره، أصيب بمرض من أشدّ الأمراض ضراوة، إنه داء الجدري، فأخذ يعاني منه، الألم والمرارة والقسوة، حتى ذهب إحدى عينيه، وأصاب البياض عينه الأخرى، حتى فقد ما فيها من قوة الإبصار.

في هذا الوقت أصبح أبو العلاء فاقداً لبصره، منقطعاً عن العالم المرئي، بكل ما يشتمل عليه من صور وجمال، إلا أن هذا لم يمنعه من النيل وتحصيل العلوم والمعارف والفنون، وغيرها. لم يقف عند هذا الحد، بل قاده طموحه وجدّه للوصول إلى مراتب عليا، لم يتوصّل إليها الكثيرون من المبصرين.

وفي معرة النعمان كانت بدايته في تحصيل العلم من قراءة وكتابة ونحو ومعارف أخرى، وقد أخذ أبوه بيده في تعليمه اللغة والنحو، ثم انتقل إلى حلب لمتابعة تعلّمه.

«وقد قرأ أبو العلاء القرآن بروايات متعددة على شيوخ ذوي قِدَم، في علوم القرآن راسخة»(١).

حدة ذكائه وملكة الحفظ لديه:

كان أبو العلاء على جانب كبير من الفطنة والذكاء، وملكة فائقة على الحفظ، مما مكّنه من تحصيل العلم والمعرفة، فتراه وقد تفوّق وأبدع في نوعي الأدب: شعره ونثره.

(١) تعريف القدماء، ص٢٢٢.

قال العديم: «كان أبو العلاء، على غاية من الذكاء والحفظ، وقيل له: بمَ بلغتَ هذه الرّتبة في العلم؟ فقال: ما سمعت شيئاً إلا وحفظته، وما حفظت شيئاً فنسيته»[١].

ومن غريب ما يروى عـن فطنتـه، مـا رواه ابـن العـديم، بقولـه: «سـمعت والـدي ـ رحمه اللـه ـ يقول: بلغني أن أبا العلاء، كان يعجبه قصيدة التهـامي، التـي يـرثي بهـا ولـده وأولها:

حكـم المنيـة في البريـة جـاري   مـا هـذه الـدُّنيا بـدار قـرار

قال: فكان لا يرد عليه أحد، من أهل العلم، إلا ويستنشده إياها، لإعجابه بها. فقدم التهامي معرة النعمان، ودخل على أبي العلاء، فاستنشده إياها، فأنشدها، فقال له: أنت التهامي؟ فقال: نعم، وكيف عرفتني؟ فقـال: لأنني سـمعتها منـك ومـن غـيرك، فأدركت من حالك أنك تنشدها من قلب جريح، فعلمت أنك قائلها»[٢].

ثقافته وعلمه:

اجتمع لأبي العلاء، الذَّكاء الحاد، والفطنة النابهة، والرغبة الملحّة في العلـم والمعرفـة، مع حبّه الشديد لذلك، ما مكنّه من الارتقاء والارتقاء لبلوغ المنزلة العليا، من الثقافة وشـأواً مرموقاً في العلم.

(١) تعريف القدماء، ص٥٥١.

(٢) تعريف القدماء، ص٥٦٤.

فقد ملك ناصية البيان والفصاحة في اللغة، والإحاطة بمسائلها وفنونها، الطريف منها والتليد، ما دعا أبو بكر التبريزي القول: «وإن نظرة فاحصة في رسائله، وتلك المباحث اللغوية، والأدبية، التي حوتها رسالة «الغفران» ورسالة «الصاهل والشاحج» لتكشف عن ثروة لغوية، ومعرفة بأوابد اللغة وأسرارها لا تعرف حداً، ولا نظيراً، كما تكشف حقاً أن أبا العلاء كان حافظاً واثقاً من حفظه، عالماً بأسرار العربية، مطمئناً إلى علمه، فقيهاً بأساليب الشعراء، حريصاً على سلامة الرواية، يمتحن المروي في دقة، ويعرضه على الأسس السليمة، لنقد السند والمتن، ساخطاً على تأول المتأولين، وتكلف المتكلفين»(١).

وقد كتب أبو العلاء المؤلفات في النحو والتصريف والاشتقاق كما كتب الرسائل فيها، أضف إلى ذلك أنه تناول بعض مسائل العلوم، وما تضمَّنته من مصطلحات في رسالة الغفران، ورسائله الأخرى.

وصبَّ أبو العلاء عنايته على كتاب سيبويه، وكتاب الجُمل لأبي القاسم الزَّجاجي وغيرهما من الكتب ذات القيمة الكبيرة، ووضع كتاباً سماه (عون الجمل)، وكتاباً آخر سمّاه (تعليق الجلي) و(إسعاف الصديق) و(قاضي الحق).

وكان على إحاطة بعلمي العروض والقوافي، وله باع طويل في العلوم الفلسفية، ودراسات الفِرَق والمِلَل والأديان.

وكان له منطقٌ واضحٌ في علوم الحديث وروايته، كما تناولتْ معارفُه: القراءات، وعلوم الفلك والنجوم، كما كان على معرفة بتاريخ القدماء.

---

(١) د. بنت الشاطئ، الغفران، تحقيق ودرس، ص٢٧٠.

أخلاقه ومنزلته ورحلاته:

تجلّت في أبي العلاء، أخلاقٌ عالية، ولعلّ فقده لبصره، خلق فيه نفساً صبور، كما أنّ سفره، لطلب العلم مع أنه فاقد لبصره، مع ما فيه من مشقَّة وعناء، نمّى فيه صفة الصبر الحميدة. كما أكسبه عناء السفر وصعوبته وقسوته، الحِلم وسعة الصدر.

زد على ما سبق تخّلقه بالزّهد، والإعراض عن الدنيا بما فيها من مباهج ومفاتن، وقد تمثَّلت فيه هذه السِّمة وقد كان ظهورها جلياً، في معظم حركاته وسكناته وأفعاله وآرائه. وقد ملكت هذه الصفة الحسنة نفسه وعقله وقلمه وإنك لتراها وتحسها في معظم شعره ونثره.

لم يسلك أبو العلاء طريقه في التكسب بما كانت تجود به قريحته، شعراً ونثراً، كما فعل غيره. وهذا يعود بالدرجة الأولى لصفة حميدة أخرى اتَّصف بها وهي عزّة النفس، والعفة.

كان أبو العلاء متواضعاً، كثير الحياء، حتى أنه أطلق على الحياء، الآفة.

أضف إلى ذلك، أن أبا العلاء كان كريماً، على الرغم من قلّة ماله وحاله. طاهر اليد، عفّ للسان، صادقاً، أكثر ما يكره وينفّر «الكذب».

ارتقى إلى منزلة رفيعة ومرموقة وتفوَّق وتميَّز في مختلف الآداب والفنون وغيرها. «فأخذ عنه الناس، وسار إليه الطلبة من الآفاق، وكاتب العلماء، والوزراء، وأهل الأقدار»(١).

(١) ابن الوردي، تتمة المختصر، ج١، ص٤٥٠.

قادته رجلاه، وشغفه بالعلم والمعرفة، إلى مغادرة منشأه وبلـده، معـرة الـنعمان، إلى أماكن أخرى.

فكانت رحلته الأولى إلى حلب ـ وهو صبي ـ طالباً للعلم. ثم رحل إلى أنطاكية ـ وهو صبي أيضاً ـ في سبيل العلم.

وفي رحلته هذه، أكَّد البعض خلاف هـذه الروايـة. وزعـم أنهـا مجـرد وهـم(١). كـما وقف فريق آخر بين قبولها ورفضها(٢).

وتذكر بعض الروايات أنه رحل إلى طرابلس، لطلب العلم أيضاً، ثم إلى صنعاء (وهذه قرية على باب دمشق).

وأما الرحلة التي لم تكن مدار خلاف وشك فيها، فهي رحلته إلى بغداد.

وقد صعد نجم بغداد إلى قمم عالية، فمنذ أن ولي العباسيون أمر المـسلمين، جعلـوا بغداد حاضرة ملكهم، واهتموا بالعلم والعلماء، ونشطت الحياة العلمية فيها، وعلى عهد أبي العلاء أصبحت مقصداً للعلماء والدارسين في مختلف أنواع المعرفة والعلوم.

وكان ببغداد ـ في عهد أبي العلاء ـ مكتبتان عامتان. طبقت شهرتهما الآفاق.

إحداهما: قديمة أسَّسها الرَّشيد، وهي بيت الحكمة.

والثانية: حديثة أنشأها سابورين أردشير، قال عنها ياقوت:

---

(١) الصبح المنبي، ص٢١.

(٢) طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص١٢٤.

«أنها اشتملت على أصح الكتب وأوثقها في كل فن، وقلما خلا كتاب من كتبها من خط إمام معروف»(١).

كل هذا كان عاملاً جاذباً لأبي العلاء، لأن يقصد بغداد لنيل العلوم، وفي هذا يقول: «والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار العلم بها»(٢).

مؤلفات أبي العلاء ـ النثرية:

من المعروف أن المعري، بدأ عزلته، عندما رجع من بغداد سنة ٤٠٠هـ وأن هذه العزلة لم تدم طويلاً.

وبعدها، بدأت حركته العلمية النشطة، والتي دامت خمسة وأربعين عاماً. حملت بديع مؤلفاته، شعراً ونثراً، وآراءً ورسائل وعلماً، وخيراً كثيراً.

إلا أن عوادي الزمن، لم تبق إلا القليل من نتاجه الرفيع، إلا أن هذا القليل، كان يعج بالمعرفة والفكر وروائع المنظوم والمنثور من نتاجه.

تناول المعري، في نثره، عدة مواضيع، وأغراض، منها: المديح، والتهنئة، والتعزية والرثاء، والشوق والمودة، والتواضع، والشفاعة، والوصف، والنقد، «وهذا من أوسع أبواب القول عند أبي العلاء، لأنه يتعلق بأبرز خصائصه، وهي الرغبة الشديدة في التمحيص والتدقيق، والقدرة على بيان الصواب والخطأ، بما توفر له من ضروب المعرفة، وأدوات النقد، ولقد تنوَّع نقد أبي

---

(١) رسائله، طبعة مرجليوث، ص٣٢.

(٢) رسائله، طبعة مرجليوث، ص٣٢.

العلاء، وأخذ طرقاً شتى تبعاً لما تعرّض له من مسائل، وتبعاً لما ساعدته عليه معارفه. لذلك نجده يتعرض لضـروب من النقد النحوي والصـرفي، ونقد الأوزان والقوافي، ونقد القراءات، أو النقد الأدبي الخالص... إلى غير ذلك من المسائل»[١].

وتناول البحوث العلميـة، ونقـد المجتمـع، والـدعوة إلى الإصـلاح، والزهـد، والـوعظ، وتمجيد الخالق والتأمل النفسي.

وقد أورد ابن العديم مؤلفات أبي العلاء، في كتابه: «الإنصاف والنحـوي»، وقـد زادت على السبعين[٢].

أو هي سبع وسبعون، كما أحصاها عبد العزيـز الميمنـي في كتابـه: «أبـو العـلاء ومـا إليه»[٣] وزادها البعض على ذلك[٤] ووصل بها بعض الدارسين إلى المئتين[٥].

لأبي العلاء ديوانا شعر كبيران أحدهما: «لزوم ما لا يلـزم» وثـانيهما: «سـقط الزنـد». وطبع كل منهما مرات.

كـما طبـع الـسقط مـع شروح ثلاثـة عليـه طبعـة محققـة في خمـسة مجلـدات

---

(١) نثر أبي العلاء، د. صلاح رزق، ص٨٧.
(٢) تعريف القدماء، ص٥٢٧ وما بعدها.
(٣) ص٢٦٢ وما بعدها.
(٤) الجندي، الجامع في أخبار أبي العلاء، ج٢.
(٥) مقدمة الفصول والغايات، ج٣.

بإشراف الدكتور طه حسين (مصر ١٧٤٦) ولم يقتصر المعري على قرض الشعر بل تعدّاه إلى موضوعات نثرية عديدة وقيّمة.

وما صحّ من النصوص النثرية لأبي العلاء هي:

١ـ ديوان رسائله في طبعتين:

الأولى: طبعة بيروت بشرح شاهين عطية، سنة ١٨٩٤.

الثانية: وقد نشرها مرجليوث، وطبعت في المطبعة المدرسية في مدينة أكسفورد سنة ١٨٩٨م.

٢ـ كتاب «الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ» وقد ضبطه، وفسّر غريبه «محمود حسن زناتي». ثم نشره، فخرج مطبوعاً سنة ١٩٢٨م.

٣ـ رسالة الغفران، وهي على جانب كبير من الذيوع والشهرة.

٤ـ رسالة «الصاهل والشاحج» التي خرجت مؤخراً في طبعة لدار المعارف بالقاهرة وزادت صفحاتها على سبعمائة صحيفة بتحقيق الدكتورة بنت الشاطئ. ولقد جاءت في قالب قصصي تمثيلي على لسان بطليها: الصاهل ـ الفرس، والشاحج ـ البغل. بالإضافة إلى بعض الحيوانات والطيور الأخرى. وتتناول بعض المسائل الأدبية، والأحداث التاريخية التي أحاطت بحلب سنة ٤١٠، ٤١١هـ في أسلوب طريف وصورة جديدة، وإطار جميل.

٥ـ رسالة «الهناء» التي بعث بها أبو العلاء إلى بعض معاصريه من الكُبراء.

٦ـ رسالة «الملائكة» وقد اعتمدت الدراسة على النسخة التي حققها «عبد الغفور الميمني» وألحقها كتابه «أبو العلاء وما إليه».

٧ـ بعض الرسائل الأخرى التي جاءت في «غفران» كامل كيلاني مثل رسالة الأخرسين.

٨ـ الرسائل التي دارت بين أبي العلاء، وداعي الدعاة الفاطمي التي سجلها ياقوت في كتابه: «إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب»[١].

❁ ❁ ❁

(١) نثر أبي العلاء المعري، د. صلاح رزق، ص٥٥-٥٩.

الباب الثالث

أبو العلاء المعري

(من حكَمِه وأمثالِه)

«إنَّ مِن البَيان لسحراً، وإنَّ من الشَّعر لحِكْمة»

الباب الثالث

الحكم والأمثال

الحكمة:

هي القول العام، الذي يصدق على كثير من الحالات الفردية، أو هي خلاصة التجارب، التي يمر بها الإنسان، وثمرة الصبر والدرس التي يجنيها من الحياة.

ومن الحكم ما تصلح للتطبيق في مختلف العصور، فتكون عميقة خالدة، ومنها ما لا يصلح إلا لزمان من الأزمنة، فتكون سطحية قليلة الأثر، وتأتي الحكمة في النثر، كما تأتي في الشعر.

انظر قول أبي العلاء المعري:

فعليك بالتقوى، ذخيرة ظاعن ... إن التقية أفضلُ الأذخار

وانظر قوله:

بَدارِ بَدارِ الخيرَ، يا قلبُ تائباً ... ألستَ بدارٍ أن منزلي الرَّمسُ

ويعتبر كتاب الله، وحديث رسوله الكريم، أهم مصادر الحكمة، وقد عرف العرب الحكمة منذ أقدم العصور، فوردت في أشعار الجاهليين، كزهير ابن

أبي سلمى، ولبيد بن أبي ربيعة، وكانت سطحية، تغلب عليها البساطة، ولمعت الحكمة في العصر العباسي، في شعر المتنبي، وأبي تمام، وأبي العلاء المعري، فجاءت عميقة، تدل على سعة الثقافة، وتطور الحياة الفكرية والعلمية، وفي العصر الحديث، لمعت الحكمة في شعر الكثيرين، مثل:

- أحمد شوقي.
- وأبي القاسم الشابي.
- والرّصافي.

المثل:

إن الأمثال من أشرف، ما وصل به اللبيب خطابه، وحلّى بجواهره كتابه. وقد نطق كتاب اللـه تعالى، وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها. ولم يخلُ كلام سيّدنا محمد ﷺ وهو أفصح العرب لساناً، وأكملهم بياناً، من مَثَلٍ، يعجز عن مباراته، في البلاغة كلّ بطل، ضمن أمثال كتاب اللـه تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّـهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

ومن الأمثال مما جاء به الحديث النبوي الشريف، قوله عليه الصلاة والسلام: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، «نية المرء خير من عمله»، «آفة العلم النسيان»، «من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه»، «إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه».**

والآن مع أبي العلاء المعري، وحكمه وأمثاله:

(١-٢)

عيــوبي إن ســألت بهــا كثــير   وأيُّ النــاس لــيس لــه عيــوب

وللإنــسان ظــاهر مــا يــراه   ولـيس عليـه مـا تخفـي القلـوب

«البحر الوافر»

اللغة:

عيوبي: جمع عيب، وهو من الصفات الذَّميمة.

تخفي: تستر.

الغيوب: جمع غيب، وهو الخفي، والغير معلوم.

المعنى:

١ـ يقول: إنه كغيره من بني البشر، عيوبه ومساوئه كثيرة.

٢ـ من المفروض أن تذكر الإنسان بما يظهر منه، لا بما يخفيه بين ضلوعه.

النحو:

ما: اسم موصول بمعنى الذي، مبني على السكون، في محل رفع اسم ليس.

(٣)

فما أذنب الـدّهر الـذي أنـت لائـم   ولكــنْ بنــو حــوّاء جــاروا وأذنبــوا

«البحر الطويل»

اللغة:

بنو حواء: البشر.

جاروا: ظلموا.

المعنى:

يقول: لا تلُم الدّهر، وتدعي أنه مذنب بحقِّك، وكثير من الناس يجورون ويذنبون.

النحو:

أنت لائم.

أنت: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح، في محل رفع مبتدأ.

لائم[1]: خبر المبتدأ (أنت) مرفوع، وعلامة رفعه، تنوين الضم الظاهر على آخره، والجملة الاسمية (أنت لائم) صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

(٤)

إذا كـان إكرامـي صـديقي واجبـاً   فـإكرام نفـسـي لا محالـة أوجـب

«البحر الطويل»

اللغة:

إكرامي: إكرام، مصدر أكرم، والكرم من صفات العرب الحميدة.

لا محالة: ضرورة واجبة.

(١) لائم، نوع من المشتقات (اسم فاعل).

المعنى:

يقول: من الواجب على المرء أن يكرم صديقه، ولكنه من الأفضل له أن يكرم نفسه أولاً.

النحو:

إكرامي (في صدر البيت): إكرام: اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الياء المناسبة وهي الكسرة، وهو مضاف. الياء: ضمير متصل مبني على السكون، في محل جر مضاف إليه.

إكرام (في عجز البيت): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه، الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

(٥)

وقد تنجو النفوسُ بأرض جدبٍ ويُهْلِك أهله المغنى الخصيبُ

«البحر الوافر»

اللغة:

تنجو: من النجاة، وضدّها الهلاك.

جدب: جرداء، قاحلة، لا نبت فيها.

الخصب: كثير العطاء.

المعنى:

قد يكون الفقر ملاذاً للإنسان من الهلاك، كما قد يكون الغنى مدعاة لهلاكه.

النحو:

تنجو: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها الثقل. (فاعله ـ النفوس).

يهلك: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. (فاعله ـ المغنى).

(٦)

وطبعُك الشرّ، فإنْ أمكنتْ ... توبةُ ليلٍ من سوادٍ فتبْ

«البحر السريع»

اللغة:

طبعك: الطبع: العادة والسليتة، ويقال الطّبع غلب التطبع، إذا غلبت عليه عادت جُبل عليها.

المعنى:

يقول: إذا لاصقتك عادات شرّيرة، فإذا فارق السَّواد الحالك الليل، تخلّفت من طبعك المبني على الشر، فالطبع غلب التّطبع.

النحو:

ليل: مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر.

سواد: اسم مجرور، بحرف الجر (من) وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر.

(٧)

وهي النفوسُ إذا تُميِّز بينها ... فأعزُّها في العيشِ مقتنعاتُها

«البحر الكامل»

اللغة:

فأعزّها: أعزّ، من العِزَّة.

مقتنعاتُها: من القناعة.

المعنى:

يقول: إذا أردت أن تفرّق بين النفوس، فالنفوس العزيزة، هي التـي تتّـسم بالقناعـة. فقد: «عزّ من قنع، وذل من طمع».

النحو:

هي النفوس.

هي: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح، في محل رفع مبتدأ (وهي ضمير الشأن).

النفوسُ: مبتدأ ثانٍ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٨)

مـن يغتـبط بمعيـشةٍ فأماتـه   نَـوَبٌ تطيـلُ عنـاءَه فجعاتُهـا

«البحر الكامل»

اللغة:

يغتبط: يُسرّ.

نوب: جمع نائبة وهي المصيبة.

عناءه: العناء: التعب والمشقة.

فجعاتها: فجعات: جمع مؤنث سالم ، والفجيعة: المصيبة.

المعنى:

يقول: على المرء إذا أصابته لحظات سرور وفرح، ألّا يبالغ في كثرة البهجة والسّرور، لأن الدّهر لا يتركه مستمراً في سعادته وسروره. بل ربما تصيبه نوائب الدهر المفجعة.

النحو:

يغتبط: فعل مضارع مجزوم، بأداة الشرط الجازمة (من)، وعلامة جزمه السكون الظاهر، وهو فعل شرط. والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

(٩)

أكـرِم ضـعيفك والآفـاق مجدبـة   ولا تهنْــه ولــو أعطيتــه القوتــا

«البحر البسيط»

اللغة:

ضعيفك: الضعيف هنا، المحتاج للعون والمساعدة.

مجدبة: الجدب: نقيض الخصب.

القوت: ما يقتات به من الطعام.

المعنى:

يقول: إذا قدّمت عوناً ـ من نوع ما ـ لأحد، فإياك أن تعلن ذلك على الملأ لئلا تهينه.

النحو:

أعطيته القوتا.

أعطى: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بالتاء. التاء: ضمير متـصل مبنـي عـلى الفتح، في محل رفع فاعل. الهاء: ضمير متصل مبني على الضم، في محـل نـصب مفعـول بـه أول. القوتا: القوت: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة . والألف، للإطلاق الشّعري.

(١٠-١١)

وجانب النـاسَ تـأمنْ سـوءَ فِعْلهـم وأن تكــون لــدى الجُــلاس ممقوتــا

لا بـدّ أن يـذموا كـلّ مـن صـحبوا ولــو أراهــم حــصى المِعــزاء ياقوتــا

«البحر البسيط»

١ـ اللغة:

جانب: ابتعد.

تأمن: تكن في أمن وسلام.

ممقوتا: مذموم.

المعنى:

ابتعد عن الناس، ولا تجالسهم فترات طويلةٍ، لأنك إذا أكثرت من مجالستهم، ذموك. (يذكرونك بما لا تحب).

النحو:

تكون: فعل مضارع ناقص، منصوب بأداة النصب (أن) وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. واسمه ضمير مستتر تقـديره (أنـت). وخـبره (ممقوتـاً) منـصوب، وعلامـة نـصبه تنوين الفتح الظاهر.

٢ـ اللغة:

يذموا: من الذم ـ ذكر الإنسان بما يكره (في غيابه).

المعنى:

من طبيعة بعض الناس ـ سيئي السّمعة ـ أن يذكروا المرء، في غيابه بما يكره. مهما عاملهم وذكرهم بالحسنى.

النحو:

يذموا: فعل مضارع منصوب بأداة النصب (أن) وعلامة نصبه حذف النون من آخره، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

أراهم: أرى: فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدَّر على آخره، منع من ظهوره التعذر. والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

هم: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول لأرى.

حصى: مفعول به ثانٍ لأرى منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على آخره منع من ظهورها للتعذر. وهو مضاف.

المعزاء: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

ياقوتاً: مفعول به ثالث لأرى منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح.

(١٢)

وقد يُرزَق المجدود أقواتَ أمةٍ ويُحرَم قوتاً واحدٌ وهو أحوجُ

«البحر الطويل»

اللغة:

المجدود: المحظوظ.

أحوج: في أمَس الحاجة.

المعنى:

قد يحالف الحظ شخصاً ما فينا له خيراً كثيراً، يسد حاجة أمة بأكملها، في حين قـد لا يحصل محتاج لقوت يومه.

النحو:

المجدود: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة عل آخره.

قد: تحقيق، لا محل له من الإعراب.

(١٣)

وأسعد الناس بالـدنيا أخـو زُهـد   نـافى بَنِيهـا، ونـادَوا إذ مـضى، دربـا

«البحر البسيط»

اللغة:

أخو: صاحب.

نافى: اعتزل.

المعنى:

من زهد بالدُّنيا فهو من أسعد الناس. لم تغره بمباهجها ومفاتنها، وجانب الناس، قال الناس: لقد مضى في سبيله، وكفى.

النحو:

بالدنيا: الباء: حرف جر. الدنيا: اسم مجرور بحرف الجر (الباء)، وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة، على آخره، منع من ظهورها التعذر.

أخو: خبر المبتدأ (أسعد) مرفوع، وعلامة رفعه الواو، لأنه من الأسماء الخمسة.

(١٤)

لعمرُك ما أنجاكَ طرقُك في الوغى　　　من الموت لكنَّ القضاء الذي ينجي

«البحر الطويل»

اللغة:

أنجاك: أنقذك من الموت والهلاك.

طرفك: الطرف هنا الجواد الكريم الأصل.

المعنى:

يقول: لم يكن حصانُك الكريم الأصيل، سبباً في نجاتك من الموت والهلاك في المعركة، بل كان القضاء سبباً لنجاتك.

(في البيت دعوة للإيمان، بقضاء الله وقدره).

النحو:

أنجاك: أنجى: فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدّر على آخره، منع من ظهوره التعذر.

الكاف: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به مقدَّم.

طرفُك: طرف: فاعل مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو مضاف.

الكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.

(١٥)

إذا أثنى عليَّ المرءُ يوماً بخير ليس فيَّ فذاك هاجِ

«البحر الوافر»

اللغة:

أثنى: مدح.

هاجٍ: اسم فاعل من هجا، وهجاه، نعته بأرذل الصفات والعيوب.

المعنى:

إذا مدحك إنسان، بما لا تتصف به من صفات يكون هجاك، أي: من مدحك بما ليس فيك فقد ذمَّك.

النحو:

يوماً: ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه، تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(١٦)

وإن هاجَك الدهر، فاصبر له وعش ذا وقارِ كأن لم تُهَج

«البحر المتقارب»

اللغة:

هاجك: أثارك.

ذا وقار: صاحب هدوء وحلم وسكينة.

المعنى:

يقول: إذا أصابك الدهر بنائبة من نوائبه، فكن صبوراً، حليماً هادئاً، وكأن شيئاً لم يكن. (وفي البيت مدح للصبر ودعوة للتحلي به).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

النحو:

إن: أداة شرط جازمة، تجزم فعلين (الأول فعل الشرط، والثاني جواب الشرط)(١).

هاجَك: فعل ماضٍ مبني على الفتح، في محل جزم فعل الشرط.

فاصبر، اصبر: فعل أمر مبني على السكون، في محل جزم جواب الشرط.

(١٧)

مَنْ صاحبَ الناسَ لم يعدم نفاقَهم ... فما يفوهون من حقٍّ بتصريح

«البحر البسيط»

اللغة:

لم يعدم نفاقهم: عليه تحمل نفاقهم. يفوهون: ينطقون.

(١) لا يشترط أن يقع فعلان مضارعان بعد أدوات الشرط التي تجزم فعلين: بل قد يكون أحد الفعلين ماضياً والآخر مضارعاً، أو قد يكون كلاهما ماضيين. فإذا كان كلاهما مضارعين جزم كلاهما مثل: أن تدرسْ تنجحْ. وإن كان أحد الفعلين ماضياً والآخر مضارعاً، جزم الفعل المضارع، وبقي الفعل الماضي مبنياً في محل جزم، مثل: إن دخلَ المعلم يقمْ طلابه. وإن كان الفعلان ماضيين، فيكونان مبنيين في محل جزم مثل: من اجتهدَ نجحَ.

المعنى:

يقول: إذا أمضيت زمناً بصحبة الناس، فعليك أن تتحمل نفاقهم، لأنهم جُبلوا على هذه الصّفة الذميمة.

النحو:

يفوهون: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، لأنه من الأفعال الخمسة والواو: ضمير متصل مبني على السكون، في محل رفع فاعل.

(١٨)

العلم كالقفل إن ألفيته عَسِراً   فخلِّه ثم عاوده لينفتحا

«البحر البسيط»

اللغة:

ألفيته: وجدته.

عسِر: صعب المنال.

المعنى:

يقول: إذا بدا لك العلم صعباً، لأول وهلة، فتريّث فترة، ثم عدْ له ثانية، تجد أنه على جانب من اليُسر والسهولة والفهم.

النحو:

لينفتحا: اللام: لام التعليل.

ينفتح: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، على آخره، والفاعل: ضمير مستتر تقديره (هو) والألف: للإطلاق الشعري.

(١٩)

فـإن قـدرتَ فـلا تفعـل سـوى حـسَـن　　　بـين الأنـام وجانـب كـلّ مـا قَبُحــا

«البحر البسيط»

اللغة:

الأنام: الخَلْق والناس.

جانب: ابتعد.

المعنى:

يقول: إذا استطعت صنع المعروف فلا تبخل بذلك، وإنه ليس بالأمر العسير. وابتعد عن كل فعل قبيح. (والبيت دعوة للتحلي بالصفات الحسنة، ومنها صنع المعروف، ونبذ الفعل القبيح، وهذا من الصفات الدنيئة).

النحو:

فلا تفعل: لا: لا الناهية، تجزم الفعل المضارع.

تفعل: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره.

(٢٠)

وأزهــدُ في مــدح الغِنــى عنــد صــدقه　　　فكيـــف قبـــولي كاذبـــات المـــدائح

«البحر الطويل»

اللغة:

أزهد: أترفع.

المعنى:

يقول: إنني لا أهوى المدح، والتملُّق، وإن كان مـادحي صـادقاً في مدحـه، فكيـف لي قبول، مادح كاذب، وقد مدحني بما ليس فيّ؟

النحو:

المدائح: مضاف إليه مجرور، وعلامـة جـرّه الكسـرة، مـع أنـه ممنـوع مـن الـصرف. (صيغة منتهى الجموع). والذي سوّغ جرّه بالكسـرة، لأنه معرف، بالألف واللام.

(٢١)

وكم بدأ الحيّ في حاجـة   فأعجلـه قـَدَر ينتمـي

«البحر المتقارب»

اللغة:

الحيّ: إنسان، فرد.

المعنى:

يقول: كثيراً ما يبدأ المرء، وبنيّة صادقة، واستعداد سليم، لعمل شيء ما، ولكنّ القـدر المحتوم، يمنعه من ذلك. (ولهذا، المفروض على المـرء، إذا أراد فعـل شيء، أن يقـول: إن شـاء الـلـه).

النحو:

كم: اسم استفهام، بمعنى: كثيراً، وهـي هنـا: خبريـة، مبنـي عـلى الـسكون، في محـل نصب، مفعول به.

(٢٢)

والنجــل إنْ بَــرّاً وإن فــاجراً كالغصن، من أصل أبيـه فُـسخ

«البحر السريع»

اللغة:

النجل: الابن، وجمعه أنجال ـ أبناء.

برّاً: طيباً، خلوقاً.

فاجراً: سيئاً، فاسداً.

المعنى:

يقول: الابن مرآةُ أبيه، سواءً أكان هذا الابن طيباً، محموداً أو سيئاً، مذموماً.

النحو:

براً: خبر لكان المحذوفة مع اسمها، منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر. والتقدير (وإن كان النجل فاجراً).

فاجراً: كذلك، خبر لكان المحذوفة مع اسمها، منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر، والتقدير (وإن كان النجل فاجراً).

(٢٣)

خرجــتُ إلى ذي الــدّار كرهــاً ورحلتــي إلى غيرهـــا بـــالرُّغم، والـلـــه شـــاهدُ

«البحر الطويل»

اللغة:

الدار: الحياة الدنيا.

غيرها: الدار الآخرة.

بالرغم: عنوة، لا طوعاً، بل قدراً وأمراً ومصيراً.

المعنى:

يقول: إنني جئت إلى هذه الحياة الـدنيا كرهـاً لا طوعـاً، علـماً بـأنني سـأغادرها إلى الدار الآخرة، والـلـه شاهد بذلك.

النحو:

ذي: اسم مجرور بحرف الجر (إلى) وعلامة جرّه الياء، لأنه من الأسماء الخمسة.

(٢٤)

ومن عاش بين النـاس لم يخـلُ مـن أذىً   بمـــا قـــال واشٍ، أو تكلّـــم حاســـد

«البحر الطويل»

اللغة:

واشٍ: الواشي، من سار بالفساد بين الناس.

الحاسد: من الحسد، والحاسد، والعيـاذ بالـلــه، مـن تمنَّـى زوال النعمـة عـن أخيـه. ونقيض الحسد «التمني» والمتمني، من يتمنى الخير والنعيم لأخيه.

المعنى:

كثيراً ما يطال الإنسان، لمعاشرته الناس، أذى من حاسدٍ وواشٍ.

النحو:

يخلُ: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف آخره، لأنه فعل مضارع معتل الآخر بالواو. والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

واشٍ: فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة، لأنه اسم منقوص والمنقوص تحذف ياؤه، في حالتي الرفع والجر، وتثبت في حالة النصب، تقول: «جاء قاضٍ»، «سلمت على قاضٍ»، «رأيت قاضياً».

(٢٥)

وقد يُخطئ الرأيَ امرؤٌ وهو حازمٌ		كما أُختل في وزن القريض عبيدُ

«البحر الطويل»

اللغة:

حازم: حريص وحذر.

اختل: أخطأ.

القريض: الشعر.

عبيد: الشاعر الجاهلي الشهير (عبيد بن الأبرص).

المعنى:

يقول: لا غرابة، إن وقع إنسان في خطأ ما، فالشاعر الجاهلي (عبيد ابن الأبرص) الشهير والمعروف والمتمكن، أخطأ في بعض أوزان أشعاره.

النحو:

وقد يخطئ الرأي أُمرؤٌ.

نلاحظ في هذه العبارة، تقديم للمفعول به وتأخير للفاعل، وهذا جائز.

الرأي: مفعول به مقدَّم منصوب، وعلامة نصبه، الفتحة الظاهرة على آخره.

(٢٦)

أمــا إذا مــا دعــا الــدَّاعي لمكرمــة فهــم قليــلٌ ولكــن في الأذى حــشُدُ

«البحر البسيط»

اللغة:

المكرمة: عمل حسن مرغوب فيه: مادي أو معنوي.

الأذى: الضرر والأذى.

حشدُ: جماعات.

المعنى:

يعجب المعري، من التناقض الموجود في بعض الناس، فإذا كانت دعوة لبـذل مكرمـة من نوع ما، تخلّف عنها الناس، وفي نفس الوقت، في طرق الأذى والضرر، تراهم وقد انطلقوا لهذا زرافاتٍ ووحدانا.

النحو:

ما (في صدر البيت): زائدة، مبنية على السكون، لا محل لها من الإعراب.

لكن: المخففة من لكنَّ، من أخوات إن (تفيد الاستدراك)، تنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وتبقي الخبر مرفوعاً ويسمى خبرها. واسمها ضمير محذوف (التقدير ولكنَّهم) في محل نصب وخبرها حشُد، مرفوع وعلامة رفعه، الضمة الظاهرة.

(٢٧)

وابيضَّ ما اخضرَّ من نبت الزَّمان بنا وكلّ زرع إذا ما هاج محصودُ

«البحر البسيط»

اللغة:

هاج: آن قِطافُه.

المعنى:

يقول: تحل الشيخوخة، بعد مرحلة الشباب، في الإنسان وكذلك، إذا ما نضجت الثمار، حان قِطافها.

ونلاحظ أن هذا البيت الجميل للمعري، تضمّن معنى جميلاً ورائعاً: انظر إلى صورة الزّرع وهو في طور النضج يتلوّن بلون معروف، بعد أن كان بلون آخر، قبل نضجه. وكذا الإنسان تلوّن شعره بلوني السّواد والبياض، في مرحلتي الشباب والشيخوخة.

النحو:

بنا: الباء حرف جر، نا: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بحرف الجر (الباء).

(٢٨)

واصـمت فـما كـثرُ الكـلام مـن امـرئ   إلا وظُـــــنَّ بأنـــــه متزيِّـــــد

«البحر السريع»

اللغة:

متزيِّد: يزيد في كلامه وحديثه.

المعنى:

يقول: إذا أطلت في كلامك وحديثك مع مجالـسيك، ظـنَّ الـبعض أنـك كثـير الكـلام، ثرثار.

النحو:

إلا: هنا ليست أداة استثناء، لأن العبارة هـذه تفتقـر إلى مـستثنى، ومـستثنى منـه، وتسمى: أداة حصر. كقولك «ما محمد إلا رسولٌ».

إلا: أداة حصر. محمد: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر. رسـولٌ: خـبر المبتدأ «محمد» مرفوع، وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر.

(٢٩)

مــن يُــدْنِ للــشاكة أثوابــه   يــصبْه منهــا غُــصن هــارد

«البحر السريع»

اللغة:

الشاكة: الشجرة ذات الشوك.

الهارد: الخارِق، الممزِّق.

المعنى:

يقول: مَن دنا مِن شجرة شوكيّة، عرَّض ما يلبسه من متاع، للخرق والتمزيق والتلف.

النحو:

مَن يُدْنِ يُصبْه.

مَن: أداة شرط جازمة، تجزم فعلين، الأول فعل الشرط، وثانيهما جواب الشرط.

يُدن: فعل مضارع مجزوم بأداة الشرط (مَن)، وعلامة جزمه حذف آخره، لأنه فعل مضارع معتل الآخر بالياء (الأصل: يُدْني) وهو فعل الشرط. وفاعل يُدْن: ضمير مستتر تقديره (هو).

يُصبْه: يصب، فعل مضارع مجزوم بأداة الشرط (من)، وعلامة جزمه سكون آخره الظاهر. وهو جواب الشرط وفاعله مؤخر هو (غصن) مرفوع بالضمة. والهاء: ضمير متصل مبني، في محل نصب مفعول به مقدّم.

(٣٠)

الصَّدر بيت إذا ما السّر زايله ... فما يُكَنُّ ببيت بعده أبداً

«البحر البسيط»

اللغة:

زايله: لازمه، يُكَنُّ: يُستتر به.

المعنى:

يقول: الصّدر موطن السّر، وحصنه الحصين، فإن فارق هذا الموطن، ذاع وانتشر، ولم يعد سراً.

النحو:

الصّدر بيتٌ.

الصّدرُ: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

بيتٌ: خبر المبتدأ (الصدر) مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر على آخره.

(٣١)

فـازجرْ هـواكَ وحـاذر أن تطاوعَـه   فإنـــه لَغَـــويٌّ طالمـــا عبـــدا

«البحر البسيط»

اللغة:

ازجر: من الزجر والمنع.

هواك: الهوى: الحب.

لغوي: غوي: يغوي المرء ويستعبده.

المعنى:

يقول: لا تُطع هواك بما يريده، لأنه لا أمان له، وقد يجعلك عبداً له.

النحو:

لغوي: اللام هي اللام المُزَحلقة[1].

(٣٢)

والهـــمُّ للحـــيّ إلـــفٌ لا يفارقـــه حتـى يعـودَ مـع الأمـوات مفقـودا

«البحر البسيط»

اللغة:

الحي: الإنسان.

إلف: صاحب ورفيق.

المعنى:

يقول: قد تلازم الإنسان الهمـوم، ولا تبتعـد عنـه للحظـة بـسيطة إلا عنـدما يفـارق الحياة.

النحو:

حتى يعودَ: حتى: حرف ناصب.

---

(١) إذا دخلت على الجملة الاسمية «إنَّ الناسخة» تأخرت الـلام، أي زحلقـت بعيـداً عـن «إن» ولـذلك تـسمى اللام المزحلقة، وتكون كما يلي: مع اسم إن بشرط أن يكون مؤخراً عن الخبر، مثل: إن في البيت لزيداً.
إن: حرف توكيد ونصب. في البيت: جار ومجرور.
لزيداً: اللام هي اللام المزحلقة: حرف مبني على الفتح، لا محل له من الإعراب.
زيداً: اسم إن منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر.

يعود: فعل مضارع منصوب بحتى، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

(٣٣)

ولا تجلـــس إلى أهـــل الـــدنايا ... فـــإنّ خلائـــق الـــسُّفهاء تُعـــدي

«البحر الوافر»

اللغة:

الدنايا: جمع دنية، وهي السجية الفاسدة.

خلائق: أخلاق.

المعنى:

يقول، من باب النصح والإرشاد: احـذر مجالـسة الـسفهاء، ذوي الأخـلاق الفاسـدة، لأنهم يُصيبونك بهذا الوباء الذّميم.

النحو:

تعدي: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على آخره منع من ظهورها الثقل. والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) والجملة الفعلية (تعدي) في محل رفع خـبر (إنّ) التي في أول عجز البيت، وتلاحظ أن خبر إنّ جاء هنا «جملة فعلية».

(٣٤)

يعطيـــك لفظـــاً ليّنـــا مَـــسُّه ... ومثـــل حـــدِّ الـــسَّيف مـــا يَعْتقـــد

«البحر السريع»

اللغة:

مسّه: أثره ووقعه.

المعنى:

يقول: تسمع من أحدهم كلاماً فيه اللين واللطف، ويخفي في داخله ما يسوؤك (أي أنه يظهر لك خلاف ما يبطن) وينطبق عليه قول القائل:

(يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب)

النحو:

ما: اسم موصول بمعنى الذي، مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ (مثل).

يعتقد: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو). والجملة الفعلية (يعتقد) صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

(٣٥)

فليت الفتى كالبدر جُدِّد عمرُه يعود هلالاً كلما فني الشهر(١)

«البحر الطويل»

(١) تضمّن هذا البيت فن بلاغي (وهو التشبيه)، في قوله: الفتى كالبدر جدّد عمره. الفتى: مشبه، البدر: مشبّه به، الكاف أداة التشبيه، العمر: وجه الشبه. ونوع هذا التشبيه مرسل مفصل.
مفصل: لأن وجه الشبه موجود.

اللغة:

فني: انتهى.

المعنى:

يقول: يتمنى الإنسان أن يكون عمره كعمر البدر، فالبدر كلما انتهى شهر عاد هلالاً.

(ومـا نيـل المطالـب بـالتمني   ولكـن تؤخـذ الـدُّنيا غلابـا)

النحو:

جُدِّد عمرُه: جُدِّد: فعل ماضٍ مبني للمجهول، مبني على الفتح.

عمره: عمر: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهـو مـضاف، الهـاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

(٣٦)

إذا زادك المـال افتقـاراً وحاجـة   إلى جامعيـه، فـالثَّراء هـو الفقـر

«البحر الطويل»

اللغة:

الثراء: الغنى الزائد.

المعنى:

إذا كنت مضطراً لطلب المال وحبّه، ورجوته من الأثرياء، فالغنى الذي تـسعى إليـه، هو فقر بعينه، لأنه أفقدك كرامتك، وأذلّ نفسك.

النحو:

افتقاراً: تمييز منصوب، وعلامة نصبه، تنوين الفتح الظاهر على آخره. (ونوعه تمييز ملحوظ).

(٣٧)

هـوّن عليـك فـما الـدّنيا بدائمـة   وإنمـا أنـت مثـلُ النـاس مغـرور

«البحر البسيط»

اللغة:

هوّن: لا تتعلق بمباهج الدنيا كثيراً.

مغرور: مخدوع.

المعنى:

يقول: يا ابن آدم، لا تتعلق كثيراً بمباهج ومفاتن الحياة الدنيا، فالدّنيا زائلة، لا محالة. ومعظم الناس، وأنت منهم مفتونون بها.

النحو:

فما الدنيا بدائمة.

ما: هي ما المشبهة بليس ترفع المبتدأ وتنصب الخبر.

الدُّنيا: اسم ما مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على آخره (الألف) منع من ظهورها التعذر.

بدائمةٍ: الباء: حرف جر زائد. دائمةٍ: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر (ما).

(٣٨)

الـزم ذراك وإن لقيـت خـصاصة　　　فالليــث يــستر حالــه الأخــدار

«البحر البسيط»

اللغة:

الذرى: الحمى والمنزل.

الخصاصة: الفقر والحاجة.

الأخدار: كلّ ما واراك من بيت ونحوه فهو خِدْر، وأخدر العرينُ الأسد، ستره[1].

المعنى:

يقول: الزم بيتك، وإن كنت ذا فقر وحاجـة، فـالعجز والـضعف، يلـزم الأسـد عرينـه لستره.

النحو:

ذراك: ذرى: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على آخـره، منـع مـن ظهورها التعذر وهو مضاف، الكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل جرّ مضاف إليه.

(١) مختار القاموس، طاهر الزاوي، ص١٧١.

(٣٩)

أتـروم مـن زمـن وفـاءً مرضـياً   إنَّ الزمـــانَ كأهلـــه غـــدّار

«البحر الكامل»

اللغة:

أتروم: أتطلب.

المعنى:

يقول: لا تطلب، صفاءً ووفاءً، من زمان، وُصف أهله وبنوه بكل خسِّة وغدر.

النحو:

مرضياً: نعت لوفاء منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر.

غدّار: خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الضمة (وهي من المشتقات صفة مبالغة مثل جريح، وصبور)[١].

(٤٠)

يَقِفُـون والفَلَـك المـسخَّر دائـرٌ   وتقـــدِّرون فتـــضحك الأقـــدار

«البحر الكامل»

(١) جريح وصبور، يستوي فيهما التذكير والتأنيث، تقـول: رجـل جـريح، وامـرأة جـريح. ورجـل صـبور وامـرأة صبور.

اللغة:

الفلك: الكون.

المعنى:

يقول: الناس يحيون في هذا الكون الفسيح، ولا يحسّون مرور الأيام بسرعة مذهلة ـ وهي من أعمارهم ـ يؤملون ويخططون ويتمنون الأماني، والأقدار تسخر منهم وتضحك مما يقدرون ويخططون. (وفي قوله: تضحك الأقدار، كناية، فجعل القدر إنسان ووصفه بالضحك، فهي كناية عن صفة).

النحو:

تقفون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير متصل مبني على السكون، في محل رفع فاعل.

(٤١)

وإذا بذلتم نائلاً لتعوَّضوا عنه فأنتم، في الجميل تِجارُ

«البحر الكامل»

اللغة:

نائلاً: معروفاً.

لتعوّضوا: تأخذوا أجراً عن صنيعكم.

الجميل: المعروف.

المعنى:

يقول: متى صنعتم معروفاً، من نوع ما، منتظرين أن تأخذوا مقابل ذلك أجراً، فأنتم في صنيعكم هذا والتجار سواء.

النحو:

لتعوضوا: اللام: لام التعليل، تعوضوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

(٤٢)

إني أواري خَلتـــي فـــأريهم   رِيّـــــاً، وفي سرّ الفـــــؤاد أوارُ

«البحر الكامل»

اللغة:

الري: الارتواء، الأوار: العطش، الفؤاد: القلب.

المعنى:

يقول: إنني مع حاجتي وقلة حيلتي، أخفي هذا بين ضلوعي، وأظهر للمرء خلاف ذلك فأبدو ميسوراً حامداً.

النحو:

ريّاً: مفعول مطلق[١] منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

---

(١) المفعول المطلق: من منصوبات الأسماء، ويأتي على ثلاثة أنواع:

١ـ لتوكيد الفعل مثل: أريهم **ريّاً**.

٢ـ لبيان نوعه مثل: تتقدّم الحياة **تقدُّماً** سريعاً. (سريعاً: نعت منصوب بتنوين الفتح).

٣ـ لبيان عدد مثل: دار المتسابق حول الملعب **دورتين**.

(٤٣)

وقــد علــم اللـــه أن العبــادَ إن يُرزقـــوا نعمـــةً يبطـــروا

«البحر المتقارب»

اللغة:

يبطرون: لا يقابلون النعمة بالاقتصاد والشكر.

المعنى:

يقول: حقيقة لا يختلف عليها اثنان، أن اللـه عزّ وجلّ يعلـم تمـام العلـم أن العبـاد حين يرزقون نعمة يصيبهم البطر.

النحو:

إن يُرزقوا يبطروا.

إن: أداة شرط جازمة، تجزم فعلين الأول فعل الشـرط، والثاني جواب الشرط.

يُرزَقوا: فعل مضارع، مجزوم بـإن، وعلامـة جزمـه حـذف النـون، لأنـه مـن الأفعـال الخمسة، مبني للمجهول. (وهو فعل الشرط). والواو: ضمير متـصل مبنـي عـلى الـسكون في محل رفع نائب فاعل.

يبطروا: فعل مضارع، مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمـسة، (وهو جواب الشـرط) والواو: ضمير متصل مبني على السكون، في محل رفع فاعل.

(٤٤)

إذا صحّ فكر المرء فيما ينوبه   من الدّهر لم يشغل بحادثةٍ فكراً

«البحر الطويل»

اللغة:

ينوبه: يصيبه. حادثة: نازلة.

المعنى:

يتعرّض الإنسان ـ في هذه الحياة الدنيا ـ أن تنزل به حادثة ما، والعاقل الحكيم مَن لم يلقِ بالاً لهذه النازلة. قال إيليا أبو ماضي:

(وإذا ما أطلَّ رأسَك همٌّ   قصِّر البحث فيه كي لا يطولَ)

النحو:

المرء: مضاف إليه مجرور(١)، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

(٤٥)

إذا ودَّك الإنسانُ يوماً لخلة   فغيَّرها مرٌّ(٢) الزمان تغيُّرا

«البحر الطويل»

---

(١) الاسم المجرور ثلاثة أنواع: المجرور بحرف الجر: ذهبت إلى **الحقل**. المجرور بالإضافة: حديقة **المنزل** جميلة. المجرور بالتبعية (أي كونه تابعاً لاسم مجرور) مثل: اطلعت على كتابٍ **جديدٍ**. لأن جديد نعت تابع للكتاب، وكتاب مجرور. جديد: مجرور بالتبعية.

(٢) مر: نقيض حلو. ومر وحلو، لون بلاغي، يطلق عليه: الطباق. مثل: «وأنه أضحك وأبكى وأمات وأحيا» أضحك وأبكى ـ طباق وكذلك أمات وأحيا ـ طباق.

اللغة:

ودّك: أحبّك واتّخذك له صديقاً.

خلة: صفة وخصلة من خُلُق.

مرُّ الزمان: قساوته ومرارته.

المعنى:

يقول: إذا اتخذك شخصٌ ما صديقاً له، لأمر في نفس يعقوب (لهدف يناله منك)، فإذا نال ما يريده منك، نأى عنك وجفاك.

النحو:

يوماً: ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره. ويطلق على ظرفي الزمان والمكان (المفعول فيه، وهو من منصوبات الأسماء).

(٤٦)

هـمُ الـسّباع إذا عنَّـت فرائـسها وإن دعوت لخـير حوّلـت حُمُـرا

«البحر البسيط»

اللغة:

السّباع: الأسود (كناية عن الناس). حُمُرا: جمع حمار (حُمُر: جمع تكسير).

المعنى:

يقـول: بعـض النـاس كالأسـود المفترسـة، تفـترس مـن يقابلهـا، مـن حيـوان وإنـسان، وإن دعـوتهم لبـذل نـوع مـن الخـير، تـراهم لا يـستمعون لقولـك، ولا

يعيرونك بالاً، وكأنهم: حُمُر مستنفرة، فرَّت من قَسورة. (مستنفرة: هاربة، ناشزة، قسورة: أسد).

النحو:

عنّت: فعل ماضٍ مبني للمعلوم، والتاء للتأنيث، ساكنة لا محل لها من الإعراب.

حُوّلت: فعل ماضٍ مبني للمجهول، والتاء تاء التأنيث الساكنة، لا محل لها من الإعراب. (وبناء هذا الفعل الماضي (حولت) للمجهول بضم أوله وكسر ما قبل آخره كما ترى).

(٤٧)

وكيف أروم تقويم الليالي ... وقد بُنِيَت على ختلٍ[1] وغدرِ

«البحر الوافر»

اللغة:

تقويم: تصحيح ما اعوجَّ.

ختل: خداع، ختر: غدر.

المعنى:

يقول: لا أستطيع تقويم الاعوجاج، الذي أحدثته الأيام، ولا تغيير طباعها، فقد جبُلت على الخداع والغدر.

---

(١) خ ت ل: ختَله بختِله ويختُله ختْلاً، وخَتَلاناً: خدعه. وختَل الصّيد: تخفّى له، فهو خاتل. وخاتله: خادعه. وتخاتلوا: تخادعوا. واختتل: تسمع لسرّ القوم. مختار الصحاح، الطاهر الزاوي، ص١٦٩.

النحو:

ختل وغدر. ختل: اسم مجرور بحرف الجر (على) وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر. وغدر: الواو: واو العطف. غدر اسم معطوف على ختل مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة. (أسلوب العطف يتكون من: المعطوف، المعطوف عليه، وحرف العطف).

(٤٨-٤٩)

إذا كنت لا تستطيع دفع صغيرة   ألمَّت ولا تستطيع دفع كبير
فسلّم إلى الله المقادير راضياً   ولا تسألنّ بالأمر غير خبير

«البحر الطويل»

اللغة:

ألمت: نزلت. دفع: إبعاد، درء. خبير: صاحب خبرة وعلم ومعرفة.

المعنى:

يقول: إذا لم يكن بمقدورك دفع ومقاومة أية حادثة من حوادث الدهر صغيرة أم كبيرة، فاترك الأمر لله، عن طيب خاطر. واستعن بمشورة أهل الخبرة والعلم والمعرفة.

النحو:

راضياً: حال منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(٥٠)

يقول لك العقل الذي بيّن الهدى   إذا أنت لم تدرأ عدواً فداره

«البحر الطويل»

اللغة:

تدرأ: تدفع.

داره: أرضيه بما لا يسوءُك.

المعنى:

يقول: عليك أن تداري عدوك بلين ورفق، بلا ضرر عليك، إذا لم تستطع، دفع أذاه واعتداءه عليك، بقوتك. قال الشاعر:

(ودارهم ما دمت بدارهم   وأرضهم ما دمت بأرضهم)

النحو:

لك: اللام: حرف جر. الكاف: ضمير متصل مبني على الفتح، في محل جر بحرف الجر.

(٥١)

فإنْ لم تنل وفراً من المال فاستعن   وفارةَ عقلٍ فهي أزكى من الوفر

«البحر الطويل»

اللغة:

وفراً: مزيداً.

أزكى: أفضل.

المعنى:

يقول: إذا لم يكن باستطاعتك الحصول على مزيد من المال، فالأفضل لك منه، العقل الراجح الهادي.

النحو:

وفراً: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

فاستعن: الفاء: واقعة في جواب الطلب.

استعن: فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه سكون آخره، وهو جواب الطلب لأداة الشرط إنْ (في صدر البيت) وفاعله، ضمير مستتر تقديره (أنت). وفعل الشرط المضارع المجزوم المنفي بلم الجازمة النافية، تنل، وعلامة جزمه، سكون آخره، وفاعله ضمير مستتر مبني تقديره (أنت).

(٥٢)

ولا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

«البحر الطويل»

اللغة:

ما أخرج الماء: السمك.

تبغ: تطلب.

قوتاً: طعاماً.

المعنى:

يقول: لا تأكل مما يخرجه البحر، كالسمك، ولا تأكل لحوم الحيوانات، مكتفياً في أكلك بالنبات والفاكهة، (ومن المعروف أن أبا العلاء المعري حرّم على نفسه اللحوم، وما يخرجه البحر من الحيوان، كالسمك، لمدة زادت على الأربعين عاماً).

النحو:

تأكلن[١]: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد المباشرة مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت).

(٥٣)

وإنّ اقتناع النفس من أحسن القنى　　　كما أنّ سوءَ الحِرص من أقبحِ الفقر

«البحر الطويل»

اللغة:

سوء الحرص: شدة الحرص.

المعنى:

يقول: الغنى في قناعة النفس، والبُخل أسوأ وأشد ضرراً من الفقر.

النحو:

أحسنِ: اسم مجرور بمن، وعلامة جرّه الكسرة بدل الفتحة، مع أنه ممنوع من الصرف، وهذا يجر بالفتحة بدل الكسرة، والذي سوّغ جرّه بالكسرة لأنه مضافاً لمعرفة. ومثله في الإعراب لفظ (أقبح) فإنه مجرور بمن وعلامة جرّه الكسرة.

---

(١) إذا كان الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد، مسنداً إلى ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، فإنه يعرب إعراب الأفعال الخمسة لعدم مباشرة النون له، مثل: لا تكسرانّ الزجاج (تكسرانّ: فعل مضارع من الأفعال الخمسة مرفوع بالنون المحذوفة تخفيفاً، وألف الاثنين ضمير متصل مبني، في محل رفع فاعل. والنون حرف للتوكيد).

(٥٤)

إذا أوتيـتَ مـلءَ يـدٍ طعامـاً		فأَطعم من تحـرّاك ولـو كظفـر

«البحر الوافر»

اللغة:

تحرّاك: قصدك.

كظفر: نزر يسير.

المعنى:

يقول: إذا أوتيت خيراً وقدراً من الطعام، فساعد الناس وأطعم مَن هو بحاجة لذلك، ولو كان ما تملكه منه قليلاً.

النحو:

يد: مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر (ويد نكرة، وقد يأتي المضاف إليه معرفة مثل: تقول: ملء اليد).

(٥٥)

والمـرء يغـشاه[١] الأذى مـن حيـث لا		يخـشاه، فاعجـب مـن حـروف الأدهـر

«البحر الرجز»

(١) في قوله: يغشاه وتخشاه: جناس ونوعه جناس ناقص بسبب اختلاف الحرفين: الغين في «يغشاه» والخاء في «تخشاه»، وكذلك الياء في «يغشاه» والتاء في «تخشاه».

اللغة:

يغشاه: يصيبه، الأذى: الضَّرر، حروف: تقلبات.

الأدهر: جمع تكسير لدهر.

المعنى:

يقول ـ وقد تضمّن قوله ـ المثل القائل: «من مأمنه يؤتَى الحذِر» قد يلاقي المرء أذى وضرراً، ممن لا يتوقع إتيانه منه، وهذا من العجب العجاب لصروف الأيام، وغريب الأحداث.

النحو:

يغشاه الأذى: يغشاه: يغشى: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدّرة على آخره منع من ظهورها التعذُّر. والهاء: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدّم. الأذى: فاعل مرفوع بضمة مقدّرة على آخره، منع من ظهورها التعذر أيضاً لأن الألف لا تظهر عليها الحركات مطلقاً: الضمة والفتحة والكسرة. تقول: جاء فتىً، رأيت فتىً، مررت بفتىً.

(٥٦)

الشيبُ أزهار الشّباب فماله   يُخفَى، وحُسن الرّوض بالأزهار

«البحر الكامل»

اللغة:

الروض: بستان الورود والأزهار.

المعنى:

يقول: عندما يتخطى المرء مرحلة الشباب، ويدخل في سن الشيخوخة يلوح على شعره اللون الأبيض، معلناً نضجه واكتمال المعرفة والخبرة فيه، فما بال البعض يخفي شيبه، بما يراه من الأصباغ، فليس للروض جمال بدون أزهاره!

النحو:

يُخفَى: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذر، مبني للمجهول، فأوله مضموم ومفتوح ما قبل آخره. ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

(٥٧)

وانصف يَتِيمَك في التُراث، ولا   تأخذْه بالاعنات والقهر

«البحر السريع»

اللغة:

الاعنات: الغلظة.

المعنى:

يقول: كن عادلاً، واعط اليتيم حقّه، ولا تعامله بالشدة والظلم والقهر.

النحو:

ولا تأخذْه: الواو: عاطفة. لا: لا الناهية، تجزم الفعل المضارع. تأخذْ: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه، السكون الظاهر على آخره.

والفاعل، ضمير مستتر تقديره (أنت)، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به.

(٥٨)

وإذا افتقــرت فــلا تهُــن وإذا غنيـــتَ فـــلا تجـــبَّر

«مجزء الكامل»

اللغة:

تهن: تذل نفسك.

تجبّر: تتجبر.

المعنى:

يقول: كن حكيماً، قانعاً، متواضعاً: فإذا كنت فقيراً، فلا تـذلّ نفسك، ولا تـضعف أمام كارثة الفقر وآلامه، وإذا أصبحت ميسور الحال، فلا تتكبّر ولا تطغِ.

النحو:

افتقرْت: افتقر: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصال بتاء الفاعل. التاء: ضمير متصل مبني على الفتح، في محل رفع فاعل.

(٥٩)

بَدارِ بَدارِ الخيرَ يا قلب تائباً ألـستَ بـدارِ أن منـزلي الـرَّمْسُ

«البحر الطويل»

اللغة:

بدار: بادر إلى الخير، أسرع.

دار (في عجز البيت): عالم، الرّمس: القبر.

المعنى:

يقول «مخاطباً القلب»: أسرع إلى عمل الخير، وتب من أشياء اقترفتها، أما علمت، أن القبر نهاية الآدمي لحياته الدنيا.

النحو:

بدار (الثانية): توكيد لفظي لبدار الأولى. وبدار: اسم فعل أمر بمعنى بادر، مبني على الكسر، على وزن فعالِ مثل خباثِ وفسادِ. والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت).

قلبُ: منادى مبني على الضم في محل نصب لأنه نكرة مقصودة.

بدارٍ: الباء حرف جر. دارٍ: اسم مجرور بحرف الجر (الباء) وعلامة جرّه، تنوين الكسر الظاهر. وهو مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، والتاء في ألست: ضمير متصل مبني في محل رفع اسم ليس، والهمزة: استفهامية، ونوع الاستفهام إنكاري.

(٦٠)

إذا ما أسنَّ الشيخُ أقصاه أهلُهُ وجار عليه الابنُ والعبدُ والعِرسُ

«البحر الطويل»

اللغة:

أسنّ: تقدّم في عمره. جار: ظلم.

أقصاه: أبعده. العِرس: الزوج.

المعنى:

يقول: إذا تقدّم المرء في عمره، لقي جفاءً، ربما من ابنه وخادمه وزوجه.

النحو:

أسَنَّ الشيخ.

أسَنّ: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

الشيخ: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٦١)

كــلُّ مــن حانــت منيتــه		لم يــدافع دونَــه حــرس

«البحر المديد»

اللغة:

حانت: قربت.

منيته: موته.

دونه: أمامه.

المعنى:

يقول: متى حانتْ منيةُ الإنسان، لم يجدْ من حرسٍ يَدفع عنه منيته.

النحو:

حانت: حان: فعل ماض مبني على الفتح.

التاء: تاء التأنيث الساكنة، لا محل لها من الإعراب.

(٦٢)

إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صوتي وإن قلتُ اليقينَ أطلْتُ همسي

«البحر الوافر»

اللغة:

المحال: الشيء الكاذب.

اليقين: القول الحق الصادق.

همسي: من الهمس، خفض الصوت.

المعنى:

يقول: إذا أردت أن أقول قولاً عن أشياء كاذبة، لا أساس لها من الصحة وجدْت المجال واسعاً لهذا، وإذا أردت أن أقول أموراً صادقة، صحيحة، لا أستطيع أن أفصح عنها إلا همساً.

النحو:

صوتي: صوت: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الياء المناسبة وهي الكسرة، وهو مضاف. الياء: ضمير متصل مبني على السكون، في محل جرّ مضاف إليه.

(٦٣)

يـدنو إليـك الفتـى لحاجتـه حتـى إذا نـال مـا أراد ملـس

«البحر المنسرح»

اللغة:

يدنو: يقترب (من الدنو ـ الاقتراب).

ملس: ابتعد عنك.

المعنى:

يقول: إذا كان المرء بحاجة لشيء ما اقترب منك وصاحبك، وعنـدما يحـصل عـلى مـا يريده منك، يفرّ عنك بعيداً، ولا يقترب منك.

النحو:

يدنو: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على آخره، منع من ظهورها، الثقل.

(٦٤)

طـرقُ الغــيِّ ســهلةٌ واســعات وطريــق الهُــدى كــسمّ الخيــاط

«البحر الخفيف»

اللغة:

الغي: الضّلال.

المعنى:

يقول: طرق الغيّ والضلال سهلة، ميسّرة، لمن يريدها، وطريق الرَّشاد، صعبة المسالك، لمن هو ليس أهلٌ لسلوكها.

النحو:

واسعات: نعت لسهلة مرفوع، وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر على آخره.

(٦٥)

إذا ما الأصل أُلفِي غيرَ ذاكِ   فما تزكو على الدّهر الفروع

«البحر الوافر»

اللغة:

ألفي: وجد.

المعنى:

يقول: إذا كان أصل المرء فاسداً، فلا ترجُ خيراً من بنيه، لأنهم نسل أصل فاسد. وكما يقال: «الابن لأبيه».

النحو:

الفاء: واقعة في جواب الطلب: ما: نافية.

تزكو: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدَّرة على الواو، منع من ظهورها (الثقل).

على الدهور: على: حرف جر. الدهور: اسم مجرور بحرف الجر (على) وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

الفروع: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

(٦٦)

إذا قال فيك الناسُ ما لا تحبُّه فصبراً يَفِئْ ودٌّ العدوِّ إليك

«البحر الطويل»

اللغة:

يفئ: يرجع ويعود.

ود: حب.

المعنى:

يقول: إذا قال الناس عنك بما لا تحبه وتستهويه، فتذرّع بالصبر، ومصيرهم أن يرجعوا إليك حاملين معهم حبّهم لك.

النحو:

فصبراً: صبراً: مفعول مطلق لفعل محذوف، تقديره (اصبر). أي: اصبر صبراً، منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(٦٧)

أتغسِل جسمي مما به وقلبي أحوج أن تغسلَه؟

«البحر المتقارب»

اللغة:

أحوج: أحق.

المعنى:

يقول: أتريد أن تغسل ما علق بجسمي من أوساخ، وقاذورات، عجباً! الأولى لك أن تطهّر قلبي مما علق به من مفاسد وسوء.

النحو:

أن تغسله.

أن: أداة نصب.

تغسله: تغسل: فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. والفاعل، ضمير مستتر تقديره (أنت). الهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به.

(٦٨)

فأحسنْ إلى من شئت في الأرض أو أسِئْ   فإنك تُجزى حذوَك الفعل بالفعل

«البحر الطويل»

اللغة:

تجزى: تأخذ حقك، إن خيراً فخير وإن شراً بشر.

المعنى:

يقول: عليك أن تحسن إلى الناس، أو تُسِيءَ إليهم، لكن كن على علم، أنك ستجزى حسب صنيعك: إن خيراً بخير، وإن شراً بشر.

النحو:

أو أسئ: أو: حرف عطف.

أسئ: فعل أمر مبني على السكون، الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. وأسِئْ معطوفة على أحسن، في صدر البيت. (تلاحظ أنه عطف فعل (أسِئ) على فعل (أحسنْ).

(٦٩)

ظننتُ أني وحدي مخطئٌ فإذا   أفعال كلِّ بني الدنيا كأفعالي

«البحر البسيط»

اللغة:

بني الدنيا: كل الناس.

المعنى:

يقول: ظننت، أنني المخطئ الوحيد، في هذه الدنيا، فكنت مخطئاً، لأنني وجدت كل الناس خطاؤون في أفعالهم.

النحو:

ظننت: ظن من الأفعال التي تنصب مفعولين: فعل ماضٍ مبني على السكون، لاتصاله بتاء الفاعل. التاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل.

أني: أَن من أخوات إنَّ، تنصب المبتدأ وترفع الخبر. الياء: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم إن. وحدي: وحد، توكيد معنوي لضمير

الياء منصوب بفتحة مقدّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة اليـاء المناسـبة وهو مضاف. الياء: ضمير متصل مبني في محل جر مـضاف إليـه. مخطـئٌ: خـبر أن مرفـوع، وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر وجملة أن واسمها وخبرها سدّت سد مفعولي ظنَّ.

(٧٠)

إذا كان بسط العمر لـيس بكاسـب سـوى شـقوةٍ، فـالموت خـير وأسـلم

«البحر الطويل»

اللغة:

شقوة: شقاء.

المعنى:

يقول: إذا كان امتداد العمر، لم يفد الإنسان سوى الشقاء والمـرارة وشـظف العـيش، فالموت أفضل له من هذه الحياة.

النحو:

خير: خبر (الموت) مرفوع، وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر على آخره.

(٧١)

ومـا كانـت كِلام الـسَّيف يومـاً لتبلــغ مثــل مــا بلــغ الكــلام

«البحر الوافر»

اللغة:

كِلام: جمع كلم وهو الجرح.

المعنى:

يقول: إن جراح السيف، أقل ألماً وأذىً، من جراح القول. ويُقال: «كلم اللسان أنكر من كلم السنان».

النحو:

لتبلغ: اللام: لام التعليل. تبلغ: فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل وعلامة نصبه، الفتحة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي)، والجملة الفعلية (تبلغ) في محل نصب خبر (كان).

(٧٢)

وبعض جسمك يرمي بعضه بأذىً   وأكثر الشر يأتي من ذوي الرَّحم

«البحر البسيط»

اللغة:

ذوي الرحم: أصحاب القربى.

المعنى:

يقول: قد يكون عضو من أعضاء جسمك سبباً في الإيذاء والضرر لعضو آخر من جسمك. وأكثر ما يصيب الإنسان من ضرر وأذى، يكون سببه من قبل أقربائه وذويه.

النحو:

يرمي: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدّرة على آخره، منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

(٧٣)

وما شعرٌ برأسك في عداد — بأكثر من ذنوبك والخطايا

«البحر الوافر»

اللغة:

الخطايا: جمع خطيئة، وهي السيئة والذنب.

المعنى:

يقول: إذا ما أحصيت ذنوبك وما تقترفه من سيئات وعيوب، فإنك ستجد أن شعر رأسك عدده أقل بكثير من ذنوبك وسيئاتك.

النحو:

بأكثر: الباء: حرف جر.

أكثر: اسم مجرور بحرف الجر الباء، وعلامة جره الفتحة بدل الكسرة، لأنه ممنوع من الصرف.

(٧٤)

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي — سحائب ليسَ تنتظم البلادا

«البحر الوافر»

اللغة:

هطلت: نزلت.

سحائب: جمع سحابة. تنتظم: تصيب.

المعنى:

يقول: إذا لم يعم ويصيب المطر البلاد جميعها، فلا سقيته ولا سقِيَتْه أرضي.

النحو:

سحائب: فاعل مرفوع: وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٧٥)

والنحل يجنـي المُـرَّ مـن نـور الرّبـا فيــصير شــهداً في طريــق رُضــابه

«البحر الكامل»

اللغة:

يجني: يقطف ويأخذ.

الرّبا: جمع ربوة، المكان المرتفع.

الشهد: العسل.

الرضاب: أجود أنواع العسل.

المعنى:

يقول: إن النحل يأخذ الرَّحيق المر زهر الرّبا، فيعيده عسلاً حلو المذاق، مستطاب.

النحو:

شهداً: خبر (يصير) وهي من أخوات كان، منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(٧٦)

لكل نفس من الـرَّدى سـبب   لا يومُهـا بعـده ولا غـدُها

«البحر المنسرح»

اللغة:

الرَّدى: الموت والهلاك.

المعنى:

يقول: إذا جاءَت منية الإنسان، فليس بالإمكان تأجيلها لا يوم ولا ليلة.

النحو:

سبب: مبتدأ مؤخّر مرفوع، وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر على آخره.

(٧٧)

لـو عـرف الإنـسان مقـدارَه   لم يفخـر المـولى عـلى عبـده

«البحر السريع»

اللغة:

يفخر: يتباهى.

المعنى:

يقول: لو تصوّر الإنسان، أول عمره، وخاتمة أمره، لنـأى عـن الفخـر والزهـو، واتخـذ التواضع سبيلا.

النحو:

لو: أداة شرط غير جازمة. وهي حرف امتناع لامتناع. مثل: لو اجتهدت لنجحت. فامتناع النجاح سببه امتناع الاجتهاد.

ونفهي هذا الباب الجميل والرائع (حكم وأمثال المعري) بما نسوقه لك من أبيات غاية، في الحسن والجمال والروعة، والمنفعة، والعظة.

(٧٨)

غيرِ مُجدٍ في ملَّتي واعتقادي ... نوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادي

«البحر الخفيف»

اللغة:

غير مجد: بلا نفع ولا فائدة.

الترنُّم: الغناء.

الشادي: المطرب والمغني.

المعنى:

يقول: لا يفيد الفقيد، بكاؤك عليه، وكذلك الغناء للمطرب سرعان ما يصبح أثراً بعد عين.

النحو:

نوح باكٍ. نوح: مبتدأ مؤخّر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. وهو مضاف. باكٍ: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الياء

المحذوفة، وحذفت لأن الاسم المنقوص تحذف ياؤه ـ إذا نوّن ـ في حالتي الرفع والجر.

(٧٩)

خفِّف الوطءَ مـا أظـن أديـم الـ   أرض إلا مـــن هـــذه الأجـــساد

«البحر الخفيف»

اللغة:

أديم الأرض: ظاهرها.

المعنى:

يقول: إنني لا أظن أن ظاهر الأرض، ما هو إلا بقايا أجساد الآباء والأجداد، فـلا تطـأ قدمك الأرض بقوة.

النحو:

هذه: اسم مجرور، مبني على الكسر، في محل جر بحرف الجر (من).

(٨٠)

وقبــيح بنــا وإنْ قــدُم العهــ   ــدُ هــوان الآبــاء والأجــداد

«البحر الخفيف»

اللغة:

نلاحظ أن هذا البيت تقرير وتأكيد للبيت الذي سبقه.

المعنى:

يقول: إذا لم يأخذ النصح طريقه إلينا، ومشينا بغلظة علـى ظـاهر الأرض، كـان هـذا إهانة لهؤلاء الآباء والأجداد وعيب منكر.

النحو:

هوان: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه، الضمة الظاهرة على آخره.

(٨١)

سر إن اسطعتَ في الهـواء رويـداً لا اختيـــالاً عـــلى رُفـــات العبـــاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

اسطعت: استطعت.

رويداً: بترفق.

رفات: ما بقي من العظام.

المعنى:

يقول: إذا استطعت أن تسير في الهواء، دون أن تحسَّ الأرض فافعل، واعلم أن سـيْرَك بكبر وخيلاء على ظاهر الأرض، عيب ونقص.

النحو:

رويداً: حال منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(٨٢)

رب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

«البحر الخفيف»

اللغة:

اللحد: القبر.

المعنى:

يقول: لقد سخر القبر، وأصابه الضحك، وهو يرى أنه قد جمع إليه الأخيار والأشرار.

النحو:

لحدٍ: اسم مجرور برب، وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر على آخره.

ضاحكٍ: نعت للحد مجرور، وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر على آخره.

(٨٣)

ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الآباد: جمع أبد وهو الدهر.

المعنى:

ويتضمن معنى هذا البيت، معنى البيت الـذي سـبقه. ولا يخـرج عـن مـضمونه إلا لفظاً.

النحو:

بقايا: اسم مجرور بحرف الجر (على) وعلامة جرّه، الكسـرة المقدّرة على الألف، منع من ظهورها التعذر. (لأن الألف لا تظهر عليها الحركات مطلقاً: الضمة والفتحة والكسرة).

(٨٤)

فاسأل الفرقدين عمَّن أحـسَّا مــن قبيــل وآنَــسا مــن بــلاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الفرقدان: نجمان (الشمس والقمر).

انسا: أبصرا.

المعنى:

يقول: سل الشمس والقمر، كم أبصرا من شعوب وأمم، وأقطار وبلدان.

النحو:

الفرقدين: مفعول به منصوب بالياء لأنه مثنى. (والمثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء).

(٨٥)

تعــبٌ كلُّهــا الحيــاة فــما أعــ ـــجب إلا مــن راغــب في ازديــاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

راغب: من رغب، يريد ويفضل.

المعنى:

يقول: انظر إلى الحياة فلا أجدها إلا والعناء والتعب يملؤها، وإنني أعجب منك يابن آدم، وأنت تطلب الاستزادة لعمرك.

النحو:

من راغب.

من: حرف جر. راغب: اسم مجرور، بحرف الجر (من) وعلامة جرّه، الكسرة الظاهرة على آخره. (راغب: اسم فاعل ـ نوع من المشتقات).

(٨٦)

إن حزناً في ساعة الغـوت أضـعا ف سرورٍ في ســـــاعة المــــــيلاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الغوت: الموت.

المعنى:

يقول: إن حزن ساعة، وقت الموت، يفوق بأثره وألمه، ساعات عديدة، من ساعات مولده (من حيث السُّرور).

النحو:

حزناً: اسم إنّ منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(٨٧)

خُلِق الناسُ للبقاء فضلَّت   أمةٌ يحسبونهم للنفاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

ضلَّت: سارت في طريق الضلال.

النفاد: الهلاك.

المعنى:

يقول: الناس مخلوقون للبقاء والاستمرارية، والأمة التي تدّعي بعدم فناء الناس، هي أمة ضالة.

النحو:

خلق الناس.

خلق: فعل ماضٍ مبني للمجهول، مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره.

الناس: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٨٨)

إنما ينقلون مـن دار أعـما ... لِ إلى دار شـقوة أو رشـادِ

«البحر الخفيف»

اللغة:

شقوة: شقاء وعذاب.

رشاد: هدى.

المعنى:

يقول: في نهاية المطاف، وفي يوم القيامة، يُنقل الناس إلى دار الجزاء، فبعضهم يدخل النار، والعياذ بالـله وحده، والبعض الآخر يكون مصيره الجنة، بإذن الـله تعالى، نظير أعماله وطاعته لـله ورسوله.

النحو:

أو رشاد.

أو: حرف عطف. رشاد: اسم معطوف على شقوة مجرور، وعلامة جرّه تنوين الكسر الظاهر.

(٨٩)

ضـجعة المـوت رقـدةٌ يـستريح الـ ... ـجـسمُ فيهـا والعـيش مثـل الـسّهادِ

«البحر الخفيف»

اللغة:

السّهاد: الأرق (قلة النوم).

المعنى:

يقول: إن الموت راحة، مبيناً: أن ضجعة الموت تريح الجسم.

النحو:

ضجعة: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة وهو مضاف. والذي سوّغ الابتداء مع أنه نكرة، كونه مضافاً لمعرفة.

الموت: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

(٩٠)

زحــل أشرف الكواكــب داراً   مــن لقــاء الـرَّدى عـلى ميعـاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الرّدى: الموت والهلاك.

المعنى:

يقول: مع أن زحل من أشرف الكواكب وأسماها منزلة، إلا أن سهام الموت ستناله.

النحو:

داراً: تمييز منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(٩١-٩٢)

أبنــاتِ الهــديل أســعِدْنُ أوعِــدْ   نَ قليـــلَ العـــزاءِ بالإســـعادِ
إيـــه للـــه درّكـــنّ فـــأنتنّ   اللــواتي يُحــسنَّ حَفــظَ الــوداد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الهديل: ذكر الحمام وصوته ويقال لصوته أيضاً (سجع). وبنات الهديل: الحمام.

المعنى:

يطلب العزاء ولو على قلته، من الحمام، المعروف بحفظ الوداد، أو يمنحنه شيئاً من السعادة.

النحو:

أبناتِ: الهمزة للنداء. بناتِ: منادى منصوب، بالكسرة بدل الفتحة لأنه، جمع مؤنث سالماً، مضافاً.

(٩٣)

بان أمرُ الإلـه واختلـف النـا   سُ فـداعٍ إلى ضـلالٍ وهـاد

«البحر الخفيف»

اللغة:

بان: ظهر، وضح.

ضلال: هلاك.

المعنى:

يقول: لقد اتَّضح وظهر أمرُ اللـه تعالى، إلا أن الناس اتخذوا طريقين.

بعضهم: اتَّخذ طريق الضلال والهلاك.

والبعض الآخر: اتَّخذ طريق الهداية.

النحو:

الناس: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٩٤)

واللبيبُ اللبيبُ من ليس يغـترَّ   بكـون مـصيره للفـساد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الكون: الحياة الدُّنيا.

يغتر: يخدع.

المعنى:

يقول: الإنسان العاقل، هو الذي لا تخدعه الحياة الدُّنيا بما فيها من مفاتن ومباهج، فهي غروره لأن الحقيقة الحتمية أن المصير زوال الدُّنيا وما عليها من بشر.

النحو:

اللبيب (الثانية): تذكير لفظي للبيب (الأولى) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٩٥)

وإذا البحر غاض عنـي ولم أرْ وَ فـــلا ريَّ بادخـــار الـــثماد

«البحر الخفيف»

اللغة:

غاض: نقص.

الثماد: جمع ثمد (وهو المياه القليلة).

المعنى:

يقول: إذا البحر، لم أطفئ ظمئي منه، فلن أحصل على الريّ من قليل الماء.

النحو:

فلا ريَّ.

لا: نافية للجنس.

ريَّ: اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب.

(٩٦)

كلُّ بيتٍ لـلـهدم ما تبتني الور قـــاء والـــسَّيدُ الرفيـــعُ العِـــماد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الورقاء: الحمامة.

المعنى:

يقول: كل ما تراه على الأرض من بناء مصيره إلى الزَّوال.

النحو:

تبتني الورقاءُ.

تبتني: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على آخره، منع من ظهورها الثقل.

الورقاء: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

(٩٧)

ورأيـــت الوفـــاء للــصاحب الأوّ ل مـــن شــيمة الكــريم الجــواد

«البحر الخفيف»

اللغة:

الصاحب الأول: عهد الصِّبا.

شيمة: طبع وعادة.

المعنى:

يقول: ظل وفياً لشبابه، حتى آذنه بالفراق وهذه إحدى صفات الرجل الكريم.

النحو:

الأول: نعت للصاحب مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

(٩٨)

ومــراثٍ لــو أنهــن دمــوع لمحــون الــسطور في الإنــشاد

«الخفيف»

اللغة:

مراث: جمع مرثاة، وهي أبيات تتضمَّن ذكر صفات المتوفى الحسنة.

المعنى:

يقول: كادت مراثينا، بما حوته من ألفاظ دقيقة ومعانٍ تعـصر حزنـاً وألمـاً، أن تكـون دموعاً، تطمس السطور.

النحو:

مراث: اسم مجرور، برب المحذوفة بعد الواو (والتقـدير ورب مـراثٍ) وعلامـة جـرّه تنوين الكسر الظاهر.

(٩٩)

إنّ مــن كــان مُحْــسِناً قابلتْــه بجميــلِ عواقــب الإحــسان

«البحر الخفيف»

اللغة:

محسناً: من اتصف بالبر والإحسان.

جميل: جزاء حسن.

المعنى:

يقول: ما معناه جزاء الإحسان إحسان مثله من أجر وثواب.

النحو:

محسناً: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهر على آخره.

(١٠٠)

وما لبس الإنسان أبهى مـن التُّقـى　　　وإن هــو غــالى في حــسانِ الملابــس

«البحر الطويل»

اللغة:

أبهى: أجمل وأفضل.

غالى: تباهى وافتخر.

المعنى:

يقول: لا أجمل ولا أكمل من رداء يرتديه الإنسان، من رداء الفضيلة والتقوى.

النحو:

ما: حرف نفي، لا محل له من الإعراب، مبني على السكون.

الباب الرابع

(المتنبي وأبو العلاء المعري)

تقاربهما في لون الحكمة والمثل

- تمهيد.

١ـ إعجاب المعري بالمتنبي.

٢ـ تأثر المعري بالمتنبي.

٣ـ التفكير الفلسفي (لهما).

تمهيد

إنَّ الشاعر، مهما كان مبدعاً، متفوقاً، في شعره وفيما يتناوله في أشعاره من أغراض شعرية، ومعارف أخرى، فإنك تراه، وقد تأثَّر ببعض رواسب فكرية، من هنا وهناك.

وعلى سبيل المثال، نلاحظ أن الشاعرين الكبيرين: المتنبي والمعري، تأثرا، إلى حد ما، وواضح وبيّن في أشعارهما، بالمعارف اليونانية والأمم الأخرى. وساعدهما في ذلك الكتب المترجمة، في عصريهما «العباسي» والذي اشتهر وازدهر في مجال العلم والمعرفة، على أكثر من صعيد.

أضف إلى ذلك أن الشاعرين، تمتّعا بقدرات عقلية عظيمة، وعواطف جيّاشة وملتهبة، وفلسفة لافتة في نتاجهما.

ونلاحظ أن المتنبي كان متأثراً ومقلِّداً لأشعار الأقدمين وتلمس في أشعاره جانباً من التجديد، صوراً ومعانٍ وألفاظ.

وحكم المتنبي، الاقتباس فيها جليّ، سهلة الألفاظ ورقيقة، تلهب المشاعر والأحاسيس. رغم ما تحمِلُه بعضها من يأس وشك.

وإذا وضعنا المعري في الكفة الأخرى، نجد أنه على قدر كبير من الخبرة والتجارب، والقُدرات العظيمة، والعلم الوفير، والثقافة الواسعة، والتفت التفاتة ما، لمن سبقوه، فصاغ الحكم فكان مقلِّداً لما قبله، والجدير بالذكر أن المعري أعمل فكره وفلسفته، فاستحدث أشكالاً متميّزة، وابتكر أطراً حديثة، كان لها مجدّداً، مبتكراً. لكنها لا بدّ وأن تكون وكما تبدو للعيان أنها متأثرة بالقدم إلى حدّ ما.

المعري والمتنبي:

تتلمذ المعري في بداية تعلّمه على يد ابن سعد، الذي كان راوية لأبي الطيب المتنبي[١]، فمن البديهي، أن يتعرَّف على أعمال ونتاج المتنبي. فأعجب بها، كما أعجب وأحبّ صاحبها.

ومن الدلائل على هذا الإعجاب والحب للمتنبي. فكان إذا ذكر الشعراء، يقول: قال أبو نواس كذا، وقال البحتري كذا، فإذا أراد المتنبي قال: قال الشاعر كذا: تعظيماً له[٢].

واهتمَّ المعري بآثار المتنبي، فشرح ديوانه، وسمّى شرحه: «مُعْجز أحمد»[٣].

(١) الديوان، الجزء الثالث، ص٣٦٦.
(٢) الصبح المنبي، ص٧٢.
(٣) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب.

وكان المعري، إذا أنشد قول المتنبي:

أنـا الـذي نظـر الأعمـى إلى أدبي وأسـمعتْ كلِـماتي مـن بـه صَـمَمُ

يقول: أنا الأعمى[١].

ودافع عن المتنبي، ومن قبيل ذلك، أنه نفى عنه ادعاءه للنبوة، وارجع ذلـك اللقـب إلى النبوة: أي المرتفع من الأرض[٢].

تأثَّر المعري بغيره من الفلاسفة اليونانيين، كأفلاطون، فرأى، في طبيعة الرّوح والجسد تشابه أفلاطون تماماً الذي ارتأى الشّر في الجسد، فقال: «إنّ حياة النفس لا تتحقّـق تمامـاً إلا بخلاصها من المادة في عالمه، وهي مثلها»[٣] اعتقد المعري بهذه النظرية قائلاً:

أراني في الثلاثـــة مـــن ســـجوني فـلا تـسأل عـن الخـبر النبيـث(٤)

لفقـــدي نـــاظري ولـــزوم بيتـــي وكـون الـنفس في الجـسد الخبيـث

المعارف الإسلامية والحكمة:

اطَّلع وقرأ القرآن والحديث كلاً من المتنبي والمعري، شأنهما شأن كلّ من أراد تنـوير عقله وعمله بالمعرفة الحقّة والطريق السوي.

---

(١) الصبح المنبي، ص٨٩.

(٢) رسالة الغفران، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، ص١٧٠.

(٣) زوبعة الدهور، ص١٠٧.

(٤) النبيث: الشرير.

وقد اقتبس المعري شيئاً من القرآن الكريم، فقوله:

إنمــا هــذه الحيــاة عنــاءٌ   فليخــبرك عــن أذاهــا العيــان[1]

مقتبس من قوله تعالى:

﴿اللَّـهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَمَـا الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]. كما أن قوله:

فاخفض حـديثَك للمحـدث جاهـداً   فذميمــة الأصــواتِ مُرتفعاتهــا[2]

مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَـوْتِكَ إِنَّ أَنكَـرَ الْأَصْـوَاتِ لَـصَوْتُ الْحَمِـيرِ﴾ [لقمان: ١٧].

وفي قوله:

دع النـاس واصـحب واخـش بيـداء قفـرةٍ   فــإن رِضــاهم غايــة لــيس تــدرك[3]

يظهر تأثره، بالحديث الـشريف، ومـأخوذ مـن القـول المـأثور: «رضـا النـاس غايـة لا تدرك».

التفكير الفلسفي:

لقد أعجب المعري بالمتنبي، كما أعجب بشخصيته، فكان إذا سمع قول المتنبي:

ألفُ هذا الهـوى أوقـع في الأنفـس   أن الحِــــمام مــــرّ المـــــذاق

(١) اللزوميات، المجلد الثاني، ص٥٠٨.

(٢) اللزوميات، المجلد الأول، ص٢١٠.

(٣) اللزوميات، المجلد الثاني، ص٢١٧.

والأسى قبــل فرقــة الــروح عجــزٌ   والأسى لا يكـــون بعـــد الفـــراق[١]

فيقول أبو العلاء:

إن هذا البيت والذي بعده، يفضلان كتاباً مـن كتـب الفلاسـفة، لأنهـما متناهيـان في الصِّدق وحسن النِّظام. ولو لم يقل شاعرهما سواهما، لكان له شرف منهما وجمال[٢].

كان المتنبي طريـق أبي العـلاء المعـري، في تناولـه الجوانـب الفلـسفية في مواضيعه. وطلائع فلسفة المعري اقتبست من أقوال المتنبي.

يقول المتنبي في رثاء (خولة):

ولذيـــذُ الحيـــاة أنفـــسُ في النَّفـــــ   ـــس وأشــهى مــن أن يُمــلَّ وأحــلى
وإذا الــــشيخُ قـــال أفٍ فـــما د   لَّ حيـــاةً، وإنمـــا الـــضَّعف مـــلّا
آلـــة العـــيش صـــحةٌ وشـــبابٌ   فـــإذا ولّيـــا عـــن المـــرء ولّى
أبـــداً تـــستردّ مـــا تهـــب الـــدنيا   فيـــا ليـــت جـــددها كـــان بُخـــلا
فكنـــتْ كـــوْنَ فرحـــةٍ تـــورثُ الغـــ   ـــمّ وخِـــلّ يغـــادرُ الوجـــدَ خَـــلّا
وهـــي معـــشوقةٌ عـــلى الغَـــدْر ولاتحـــ   ـــفظُ عهـــداً ولا تُـــتَمِّمُ وصـــلاً
كـــلُّ دمـــعٍ يـــسيل منهـــا عليهـــا   وبفـــكّ اليـــدين عنهـــا تخُـــلّى
شـــيمُ الغانيـــات فيهـــا فـــما أدْ   ري لـــذا أنَّـــث اسـمَها النّـاسُ أم لا[٣]

(١) الديوان، ج٣، ص١٠٨.
(٢) الديوان، هامش، ص١٠٨.
(٣) الديوان، ج٣، ص٢٤٩.

وقد تناول المتنبي حكماً فلسفية، نوجزها فيما يلي:

١ـ أن الحياة متعتها أشهى في نفوس ناسها وأجدر ألا تملّ وتستكره.

٢ـ يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب، فإن لم يكن صحة وشباب فسد العيش وتنفص وذهب.

٣ـ إن الدنيا لا تهب شيئاً إلا وتسترده.

٤ـ أن الدنيا ذميمة، لا تحفظ لأحد عهداً، فهي أشبه ما تكون بالغانيات المنقلبات.

وقد كرّر المعري، هذه المعاني، في لزومياته فكَرِه الحياة، ولم يثِقْ بها، وإن منحته بعض الود. يقول:

خسئتِ يا أمّنا، فأفّ لنا ... بنو الخسيسة أوباش أخسّاء

وقد نطقت بأصناف العِظَات لنا ... وأنتِ فيما يظنّ القومُ خرساء

إذا تعطّفت يوماً، كنت قاسية ... وإن نظرتِ بعينٍ فهي شوساء(١)

والدنيا في نظره كما وصفها المتنبي خسيسة، يربأ بالأخلاء أن يتمسكوا بها، وإن وهبت خيراً فإنها ستعقبه مرارة وحسرة، كما يقول المتنبي في قوله:

دون الحلاوة في الزمان مرارة ... لا تُختطى إلا على أهواله(٢)

ويكرر ما ذكره المتنبي في البيت الخامس من قصيدته السابقة فيقول:

لَعبٌ كلها الحياة فما أعـ ... ـجب إلا من راغب في ازدياد

(١) اللزوميات، المجلد الأول، ص٤٧. الشوساء: الناظرة شزراً بتكبر.

(٢) الديوان، ج٣، ص١٩٠.

إنّ حزناً في ساعة الفوتِ أضعا ... ف سرور في ساعة الميلاد(١)

وقال المتنبي ـ في نظرة فلسفية حكمية:

يُدفِّن بعضُنا بعضاً وتمشي ... أواخرنا على هام الأوالي

وكم عيْنٍ مُقبَّلة النواحي ... كحيلٌ بالجنادل والرّمال

ومُغْضٍ كانَ لا يُغضي لخطْبِ ... وبالٍ كان يُفكِرُ في الهزال(٢)

فقد جاء المعري، على نفس هذه المعاني، فقال:

صاح هذي قبورُنا تملأ الرّحـ ... ـب فأين القبور من عهد عاد

خفّف الوطءَ، ما أظن أديم الـ ... أرض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدُم العهـ ... ـد هوان الآباء والأجداد

وللمتنبي شعر يشير إلى حيرته في الكون والحياة والبعث، فيقول:

غدرتَ يا موتُ كم أفنيت من عددِ ... بمنْ أصبْتَ وكم أسكتَّ من لجبِ

وعاد في طلب المتروك تاركُه ... إنا لنفعلُ والأيامُ في الطَّلبِ

فلا تَنلْكَ الليالي إن أيديَها ... إذا ضَربْن كسرْنَ النّبع بالغَرُبِ

ولا يُعِن عدواً أنت قاهرُه ... فإنهنَّ يصِدْنَ الصّقر بالخَرَبِ

وإن سرَرْن بمحبوبٍ فجعْن به ... وقد أتينَكِ في الحالين بالعَجَبِ

ويا قضى أحدٌ منها لُبانتُه ... ولا انتهى أربٌ إلا إلى أَرَبِ

---

(١) سقط الزند، ج٣، ص٩٧٨.

(٢) الديوان، ج٣، ص١٤٩.

تخالفَ الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخُلق في الشجب

فقيل تخْلُص نفسُ المرء سالمةً ... وقيل تشْرَكُ جسمَ المرء في العطَبِ

ومَنْ تفكّر في الدّنيا ومُهجتِه ... أقامه الفِكرُ بين العجْز والتعب(١)

فالدنيا تتابع بني البشر، ولا تغفل عنهم. وقد جرى خلف الناس في كل شيء، ولم يتفقوا إلا على الهلاك، فالموت نهاية كلّ حيّ.

ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك. ففريق يقول: إن الروح تسلم من الهلاك، ولا تفنى بفناء الأجسام. وفريق يذهب إلى أن الروح تفنى مع الجسم.

والمعري كالمتنبي، يحار في أمر البشر ومآلهم، وهل سيبعثون قياماً بعد موتهم، فيقول:

أما القيامةُ فالتنازعُ شائعٌ ... فيها، وما لخبيئها إصحارُ

قالت معاشرُ: ما للؤلؤ عائمٍ ... يوماً، إلى ظلم المحَار، محارُ

وبدائع الله القدير كثيرةٌ ... فيحور فيها، لبُنا ويَحارُ(٢)

وتتقارب نظرة الشاعرين، في الحياة والموت. يقول المتنبي:

لا بدد للإنسان من ضجعة ... لا تقلِب المُضجَعَ عن جنبه

ينسى بهاما كان من عُجبه ... وما أذاق الموتُ من كربه

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بُدّ من شربه

---

(١) الديوان، ج١، ص٢٢٤. الحَزَب: ذكر الحبارى. النبع: شجر صلب. الغرب: نبت ضعيف. الشجب: الهلاك. المهجة: الروح.

(٢) اللزوميات، المجلد الأول، ص٤٦٢. إصحار: إظهار، المحار: المرجع.

تبخـــــل أيــــدينا بأرواحنـــــا   عــلى زمــان هـــي مــن كــسبه
فهـــذه الأرواح مـــن جـــوّه   وهـــذه الأجــسام مـــن تربــه
لـــو فكّــر العاشــق في مُنتهــى   حــسن الــذي يَــسْبيه لم يَــسْبِهِ
لم يُــرَ قــرن الــشمس في شرقِــه   فـــشكّت الأنفُـــسُ في غربـــه
يمــوت راعــي الــضأن في جهلــه   موتـــة جـــالينوس في طبِّـــه
وربمـــا زاد عـــلى عمـــره   وزاد في الأمـــن عـــلى سربـــه

وقد تأثر المعري بالأفكار الواردة في هذه القصيدة، ومنها:

ـ في الأبيات (١-٣):

يذكر المتنبي أن الإنسان مآله الموت، لا محالة، وفي هذا المعنى، قال المعري:

مـــا رغبـــةُ الحـــيّ بأبنائـــه   عـمّا جنـى المـوتُ عـلى جـدّه(١)

ـ يستوي جميع البشر في القضاء المحتوم، سواء العالم فيهم والجاهل. وهذا ما ذكره المتنبي، في البيتين (٨، ٩).

يقول المعري، في نفس المعنى:

رددت مليـــك الحـــق أمـــري   فلم أسأل متـى يقـع الكـسوف
فكـم سـلم الجهـول مـن المنايـا   وعُوجل بالحمام الفيلـسوف(٢)

والشاعران، كلاهما، شكّ في خلود النفس، وأحسّ بالتعب والارتياب من هذا الشك.

---

(١) سقط الزند، ج٣، ص١٠١٧.

(٢) اللزوميات، المجلد الثاني، ص١٥٧.

واصطنع المتنبي لغة أهل الكلام، أكثر مما اصطنع لغة الشعراء، فقلّده المعري في ذلك، وزاد عليه.

يقول المتنبي في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة:

وإن تكنْ خُلقتْ أنثى لقد خُلِقتْ   كريمة غير أنثى العقل والحَسب

وإن تكن تغلبُ الغلباء عنصُرَها   فإنّ في الخمْر معنى ليس في العنب(١)

في مطلع البيت الأول، بدا منطقياً، فخولة خلقت أنثى، فهل يضيرها هذا؟

ويجيب بأن هذا لا يقلل من مكانتها، ما دامت لها عقل يوازي عقل الرجال.

ولم يتخلّ عن المنطق في البيت الثاني، فهي وإن كانت من تغلب ـ تلك القبيلة المعروفة بالعز والمتعة ـ بيدَ أنَّ لها مع ذلك، من الفضائل، ما يجعلها تتميز عنهم وتفضلهم، كالخمر أصلها من العنب، ولكن في الخمر من المزايا ما ليس في العنب، ومن ثم تفضله.

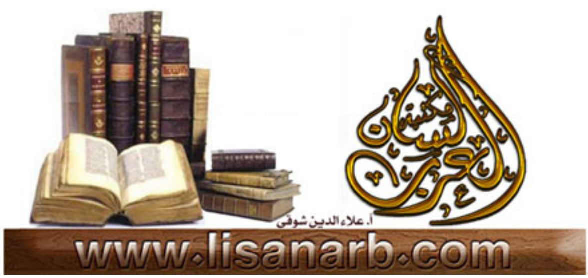
قلّد المعري، المتنبي، في أسلوبه، فقال:

قلتم لنا خالق حكيم   قلنا صدقتمْ كذا نقول

زعمتموهُ بلا مكان   ولا زمان إلا فَقولوا:

هذا كلام له خبيءٌ   معناه ليست لَنا عقول(٢)

تم بعون الله تعالى



(١) الديوان، ج١، ص٢٢٠. الغلباء: الغلاظ القلوب والرقاب. أي أنهم لا يذلون لأحد.
(٢) اللزوميات، المجلد الثاني، ص٢٧٠.

خاتمة

الحمد للـه، أولاً وآخراً.

وبهذا أكون قد أتيت على خاتمة هذا الكتاب، وقد تناولت فيه، هذا الشاعر الكبير، بل الناشر والفيلسوف المتألق.

وقد امتحنه اللـه، سبحانه وتعالى، بعدة محن منها:

ـ فقده لبصره، منذ نعومة أظفاره.

ـ وفاة أمه، وهو في مقتبل العمر، فلفّه الغم والحزن وأقام في مكانه لا يبرحه.

ـ ما لقيه من جحود وإنكار، أثناء إقامته القصيرة في بغداد ـ بلاد الرافدين.

إلا أن كلّ هذه الظروف القاتلة، والأوقات الحالكة، والمتغيرات الطارئة، لم تكن حجر عثرة، في طريقه، ونيل حظه الوافر، في مجال العلم والتعليم، وقد منحه اللـه لساناً لافظاً وقلباً حافظاً.

فنهل من العلم الشيء الكثير، فقد تلقى العلم على يدي والده، وغيره من علماء عصره، ومنهم: ابن سعد ـ راوية أبي الطيب المتنبي ـ فقد تتلمذ عليه في بداية تعلمه.

قادته قدماه وعلمه وتأديبه، أن يقوم ببعض الـرحلات الهادفـة، فارتحـل إلى بغـداد، وبعض الأماكن الأخرى، إلا أن غيابه لم يطل عن مسقط رأسه ـ معرة النعمان ـ فعاد، لينكب على العلم، وبنهم شديد، وبقلب وعقل واعيين، حتى نال من العلم حظاً وافراً.

فلا تعجب، أن يكون المعري:

شاعراً كبيراً، وناثراً ملهماً، وفيلسوفاً بارعاً. وقد ترك من الآثـار لجيلـه، ومـا يليـه مـن أجيال، في الشعر، على سبيل المثال:

لزوم ما لا يلزم، وسقط الزند، وهما ديوانا شعر كبيران وهامان.

ناهيك عما ترك في مجال النثر الأدبي، مثل: رسالة الغفران، ورسالة الصاهل والشاحج، وغيرهما. كما ترك أعمالاً كبيرة، عديدة، وقيّمة.

وكشفت النقاب، في كتابي هذا: (أبو العلاء المعري) عن جانـب مـن حكمـه وأمثالـه، والتي درجت على عديد الألسن، وفي مختلف الأماكن والأزمان منذ رحيله.

وقد ازدهر العـصر العبـاسي، بـالعلم والحـضارة، ومـا قدّمـه الكثـيرون مـن أصـحاب العقول الكبيرة والنيّرة والثقافة الواسعة، أمثال: (أبي العلاء المعري).

ومع صديق آخر، سيكون اللقاء، بإذن الـلـه تعالى، وإن كان في العمر بقية.

المؤلف

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ زبدة التفسير، الإمام الشوكاني.

٣ـ لسان العرب، ابن منظور.

٤ـ مختار القاموس، الطاهر الزاوي.

٥ـ المعجم الوسيط، د. ناصر سيد أحمد ورفاقه.

٦ـ معجم كلمات القرآن الكريم، محمد عدنان سالم.

٧ـ علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق.

٨ـ مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد.

٩ـ في الأدب الجاهلي، د. طه حسين.

١٠ـ تجديد ذكرى أبي العلاء، د. طه حسين.

١١ـ طبقات فحول الشعراء، د. ابن سلام الجحمي.

١٢ـ البيان والتبيين، الجاحظ.

١٣ـ نقد الشعر، قدامة بن جعفر.

١٤ـ العمدة، ابن رشيق القيرواني.

١٥ـ العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف.

١٦ـ العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف.

١٧ـ الصناعتين، أبو هلال العسكري.

١٨ـ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، عبد القاهر الجرماني.

١٩ـ صحيح البخاري، الإمام البخاري.

٢٠ـ تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس.

٢١ـ اللغة العربية: دراسات تطبيقية، د. عمر الأسعد، د. فاطمة السعدي.

٢٢ـ الأغاني، الأصفهاني.

٢٣ـ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي.

٢٤ـ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني.

٢٥ـ ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح العكبري.

٢٦ـ شرح ابن عقيل (لألفية ابن مالك)، تحقيق محمد محمد محيي الدين.

٢٧ـ شروح سقط الزند، بإشراف د. طه حسين.

٢٨ـ صفوة التفاسير، الصابوني.

٢٩ـ فقه اللغة، الثعالبي.

٣٠ـ اللزوميات للمعري ـ نسخة مصورة ـ بيروت.

٣١ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي.

٣٢ـ نصوص من الشعر العباسي، د. عمر الأسود.

٣٣ـ في أدب العصر العباسي، د. عمر عبد الرحمن الساريسي.

٣٤ـ أبو العلاء المعري، أحمد تيمور.

٣٥ـ نثر أبي العلاء المعري، د. صلاح رزق.

٣٦ـ مروج الذهب، المسعودي.

٣٧ـ شرح شذور الذهب، ابن هشام.

٣٨ـ تاريخ الطبري.

٣٩ـ الصبح المنبي.

٤٠ـ الجامع في أخبار أبي العلاء، الجندي.

٤١ـ رسالة الغفران، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن.

﴿هذا الكتاب﴾

يطلعك على علَم بارز ومميّز، في عالَم العِلم والأدب والفكر والثقافة الواسعة والمميزة والنافعة. وقد كان في طليعته أصحاب النُّهى والعقول النيّرة، والنابهة، والرائدة، ممن أسهموا بنصيب وافر في علم وثقافة وازدهار وحضارة العصر العباسي.

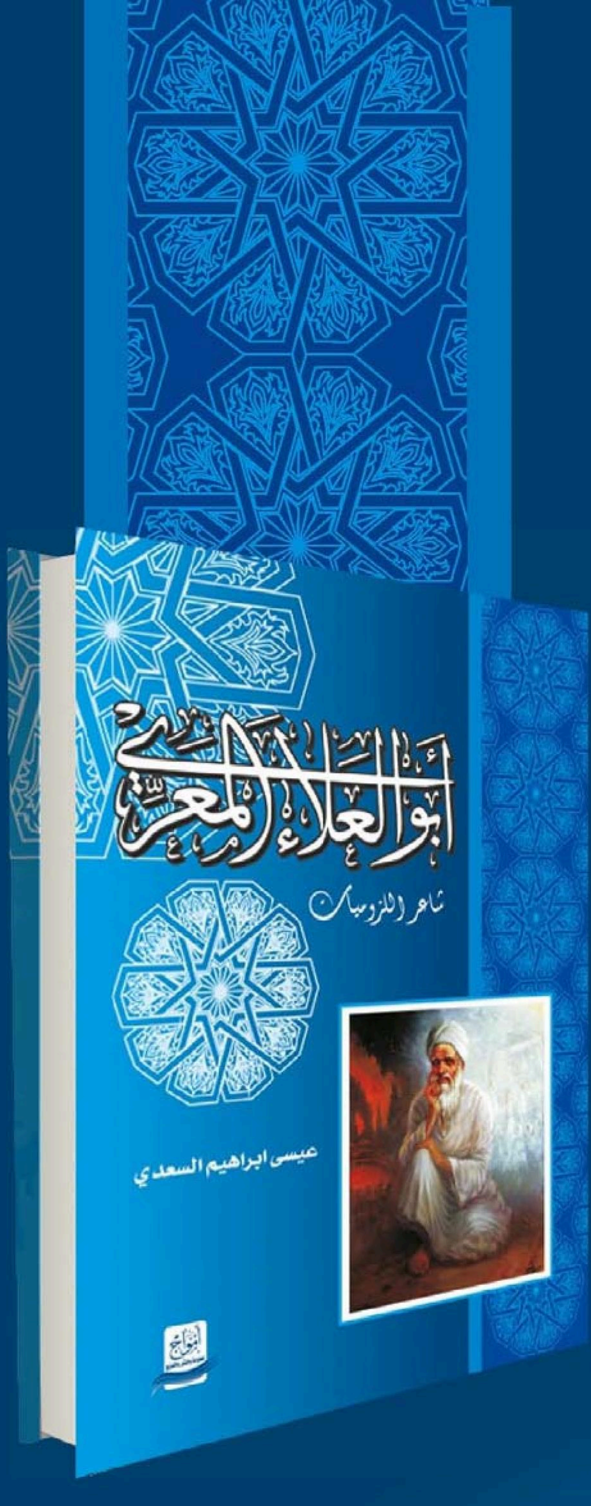
لا أذيع سراً، إن قلت، إن المعري، ابن معرة النعمان التنوخيّ، لاقى عنتاً وعناءً وشظفاً وقسوة للعيش، لكنه كان لها، فتحمّلها وحملها، مثقلاً، بكل مقدرة عالية، في سبيل العلم. فكان:

شاعراً ملهماً، وناثراً كبيراً، وفيلسوفاً بارعاً، ومتكلماً لسناً وفصيحاً ومكفوفاً بصيراً، فقد أورث نتاجاً هائلاً وثريّاً، ملموساً وظاهراً وشهيراً.

وحقاً كان كما قال، ويحق له القول السّديد والأنموذج البديع: «ما سمعت شيئاً إلا وحفظته، وما حفظت شيئاً فنسيته».

تم بحمد الـلـه

طبع في امواج



الأردن - عمان - ماركا الشمالية - دوار المطار
ص.ب ٣٣٠٩٥٩ - الرمز البريدي ١١١٣٤ عمان
تلفاكس : ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١
E-mail: amwajpub@yahoo.com

9 789957 528584